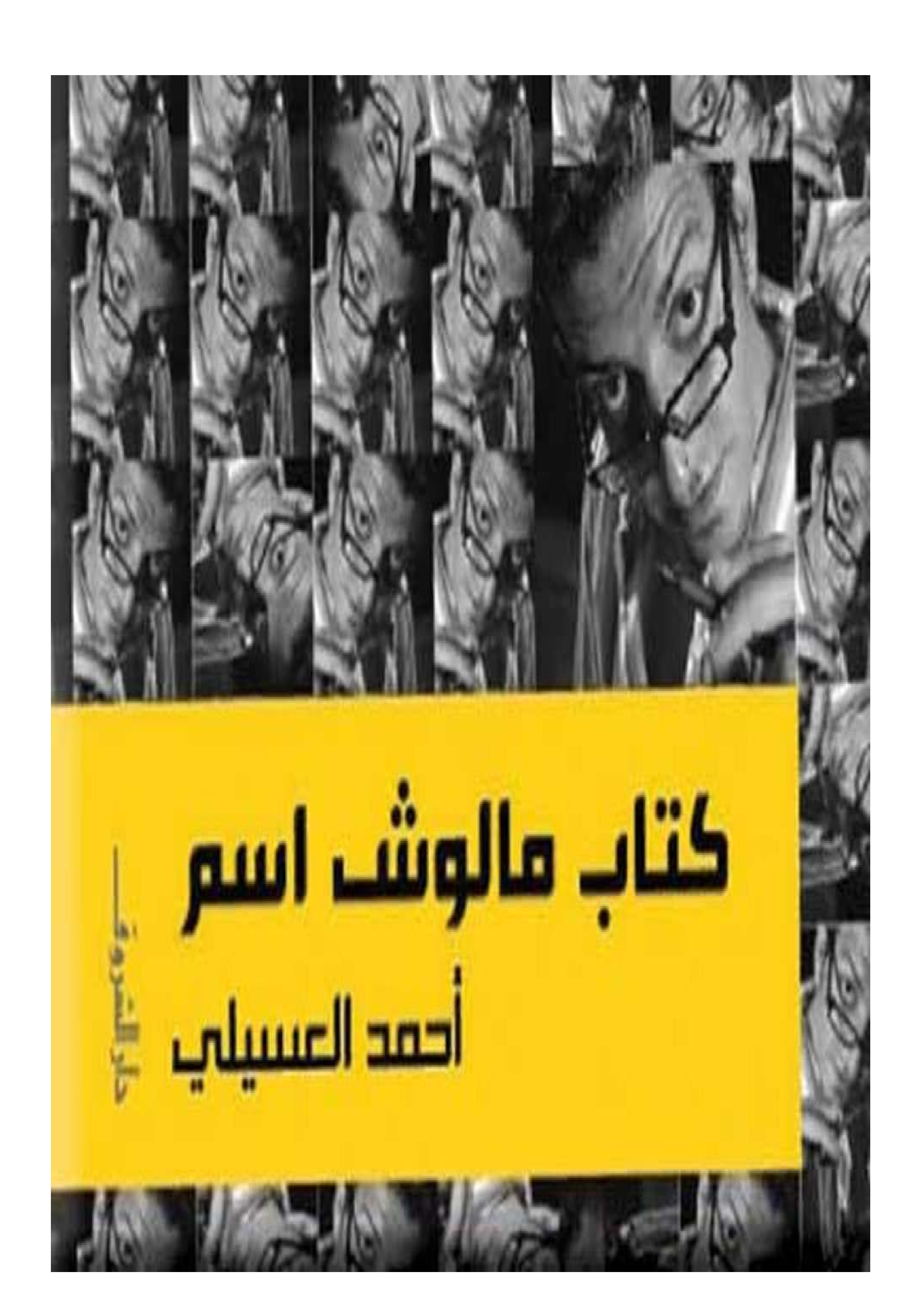

كتاب مالوش اسم
أحمد العسيلي
دار الشروق

صورة الغلاف محمد علويه

الطبعة الأولى ٢٠٠٩
الطبعة الثانية أغسطس ٢٠٠٩
الطبعة الثالثة أغسطس ٢٠٠٩
الطبعة الرابعة نوفمبر ٢٠٠٩

رقم الإيداع ٢٠٠٩/١٣٥٤٢
ISBN 978-977-09-2650-6

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر ـ القاهرة ـ مصر
تليفون: ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس: ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢) +
email: dar@shorouk. com
www. shorouk. com

أحمد العسيلي

كتاب مالوش اسم

دار الشروق

الأفكار حرّة حريّة مطلقة..
الأفعال فقط هي المحدودة..

أهدِي هذا الكتاب إلى الثلاثينيات من عمري،
حَيْثُ بدأت أرى صورة أوضح كثيرا. ليست
واضحةً بشكل كاف بعد، ولكنّها أوضح
كثيرًا.

بعد أن قررت أخيرًا أن أبدأ كتابة كتابي الأول.. وقعت في أول «حِيص بِيص».. ماكنتش عارف اكتب بالعامية ولّا بالفصحى!.. مشكلة معضلة جدًّا.. الفصحى هي لغة القراءة والكتابة.. فيه طريقة واحدة لكتابة ونطق كل كلمة ممكن تستعملها.. بس العامية مش كده.. ممكن مثلًا تكتب «إنّهرده» وممكن تكتب «النهارده» وممكن الاتنين يبقوا صح، وممكن مايبقوش.

الفصحى عندها قدرة أكبر على البلاغة، بس العامّية أقرب للقلب. الفصحى قد تنال إعجاب محبي اللغة العربية والمثقفين، بس العامية بتكلّم كل الناس.

المهم من غير رغي يعني قررت اني اكتب زي ما بفكّر، بالعامية. ولو فيه حاجة استعصت عليها، اكتبها بالفصحى.

الكتاب ده مش رواية، أنا مابعرفش أحكي قصص أصلًا.. أو مابعرفش الّف قصص بمعنى أصح.. ومش شعر كمان.. جايز كان عندي فرصة اني ابقى شاعر بس ضيعتها يمكن،

أو ماكانتش فرصة أوي يمكن، المهم اني مابقيتش شاعر وخلاص. أمّال بقيت إيييه؟ مش متأكد أوي الحقيقة..

وانا صغيّر كان فيه حلم بقظة بيجيلي كتير جدًّا؛ قال خير اللهم اجعله خير، طالع أنا في التليفزيون بَقُول نظريات وأفكار ورأيي في كل حاجة في الدنيا، والمذيعة الحلوة منبهرة جدًّا بكل كلمة بقولها. وقاعد انا بقى مُتْجَعِص بثقة في الكرسي بتاعي ومكتوب تحت صورتي بالبنط العريض «المفكّر الكبير: أحمد العسيلي». حلم غريب جدًّا طبعا. هي دي شغلانة يحلم بيها طفل دي؟ المفكّر الكبير؟!

بس الحمد لله.. جزء من النبوءة تحقق.. بَطْلَع في التليفزيون وفي الراديو وبَكتب مقالات وكمان بَكتب كتاب اهه.. بس الأهم، لإنه السبب في كل ده.. اني على طول بَفكّر.. بَفكّر.. بَفكّر..

صعبة جدًّا عليًا في فهمها الحياة، غريبة ومعقدة وملفلفة ومش واضحة خالص.. عندها قدرة عجيبة انها تفاجأك.. وكل ما تفتكر انّك خلاص مش حتستغرب تاني، تفاجأك تاني.. (وأعتقد يعني إنك لو مابتتفاجئش تبقى مش مركّز معاها كويس)..

المشكلة الأساسية المتعلقة بالتفكير هي إنّك كل ما تفكّر كل ما تزيد حيرتك، كل ما تحاول تجاوب على سؤال يطلعلك

عشرة، تجاوب فعلًا على سؤال تكتشف بعد كام شهر إن إجابتك أي كلام.. وهلمّ جرا.

بس من وسط الأسئلة والمحاولات دي كلها، قناعتي بتقولّي انّك بتخرج بني آدم أحسن، بني آدم مُفَكّر.

كثيرة هي علامات الاستفهام في الدنيا.. ونادرة جدًّا الإجابات.. والكتاب ده مش حَيبقى فيه إجابات ولا حاجة وحتّى لو حَيبقى فيه، هو مش مقصود منه الإجابات، المقصود الأفكار والأسئلة بس.

ومش حَيبقى فيه يقين.. حيرة بس.

اليقين الحمد لله عندنا على قفا من يشيل، بس هنا مش حتلاقوا.. أتمنّى انكو ماتلاقوش.

إقرا دول قبل ما تقرا الكتاب

أولا: حكاية العامية الملخبطة على الفصحى يمكن صحيح بتخلّي الكتابة أسهل، بس الحقيقة الأمانة تقتضي انّي أذكر انها بتخلّي القراية أصعب.

ثانيًا: الكتاب ده ساعات حَيبقى عنده مرجعية إسلامية بحُكم إني مسلم والكتاب ده جزء منّي، بس ده مش كتاب ديني على الإطلاق. الدين بريء من أي حاجة حَقولها.

أقر أنا أحمد العسيلي أنّي أتحمل مسئولية أقوالي في هذا الكتاب.. وحدي.

ثالثًا: ساعات حَيضطركو الكتاب، لو حتقروه بحُب يعني، إنكو تفكّروا في حاجات ممكن تكونوا مافكرتوش فيها قبل كده أو بطلتوا تفكّروا فيها باعتبارها مُسلّمات، من فضلكو استسلموا وقتيًا لفكرة ان الفقير إلى الله كاتب هذا الكتاب بيعتبر ان تقريبا مافيش مُسلّمات، إلا الله..

رابعا: من ساعة ما طلع اللي في الكتاب ده من راسي، لحد ما اتطبع وانتو بتقروه دلوقتي، ممكن تكون كل حاجة فيه اتغيّرت.

وممكن طبعا ماتتغيّرش!، وممكن شوية وشوية..

إفتكروا كويس.. مافيش مسلّمات، مافيش ثوابت.

الكتاب ده أصلًا عن الحرية.. حرية البني آدم..

حرية التفكير.. وحرية الخطأ.

الله

واحد من أوائل الأسئلة المحيرة فعلا اللي بتيجي في راس أي طفل: «هو ربنا فين؟». واحد صاحبي حكالي مرة ان لما بنته سألته السؤال ده كان حَيجاوب عليها يقولّها «في السما» وبعدين فكّر كده شوية فاكتشف انه لو قالّها ربنا في السما، ممكن هيّ تفكّر انها ممكن تستخبّى منه تحت الترابيزة مثلًا! فقال لها ربنا في كل حتّة، ربّنا في كل حاجة خلقها، ربّنا فينا.

أكتر حاجة بتحَيّرني أنا في ربنا هي ازاي هو كل حاجة كده.. ازّاي جبار وودود.. غفور ومنتقم.. رحيم وباطش!.. ازاي سبحانه وتعالى هو الصفة وعكسها؟!

ازاي خلق مجرات وسدوم ونجوم وهوّ نفسه خلق نمل وبكتيريا وميكروبات.. ازاي كبير أوي أوي كده ومع ذلك عنده القدرة إنه يعرف أدَق أدَق التفاصيل كده.. ازاي يعرف كل

الناس اللي خلقهم دول؟ ازاي؟؟ عارف عارف إنّ الله ليس كمثله شيء، لكن ده مايمنعش الأسئلة.. ازاي برضُه؟؟

والحيرة الأكبر بقى بتيجي من حتّة تانية كمان، هو ربنا بيشوفنا ازاي؟

يعني مثلًا هو المهم عند ربنا قلبي ولا عملي ولا الاتنين؟ ولو الاتنين يبقى برضُه مين أهم؟، طب العمل الصالح والنية السليمة أهم ولّا التعبّد؛ يعني واحد خيّر وطيب وحنون وبيساعد الناس وبيحبهم وبشوش وأمين وعمره ما كذب وعمره ما خد حاجة مش بتاعته وعمره ما ظلم حد وكمان مؤمن بربنا ومصدّقه وفاكره على طول وبيحبّه، بس مابيصلّيش.. حَيتحاسب ازاي؟.. أنا متأكد إن أغلبكو جاوب خلاص وقال «لأ، لو مابيصلّيش يبقى حيتحرق في النار إلى الأبد» آسف.. مش مصدّق انا الكلام ده، مش دفاعًا عن عدم الصلاة ولا حاجة.. حاش لله، أنا ولله الحمد طول عمري بَصَلّي، بس كل الموضوع ان ده كلام مش منطقي؛ بالنسبالي أنا مش منطقي.

والأصعب حتّى، واحد راهب هندوسي عمره ما عمل حاجة غلط ومؤمن بإله واحد خالق للكون، بس بيعبده بالطريقة اللي طلع الدنيا لقاها وفهمها وصدّقها زي كل واحد فينا. حَيتحاسب ازاي؟!

طب المهم النية ولا النتيجة؟! يعني ما اللي بيروح يفرقع نفسه في ناس مساكين قاعدين على قهوة عشان فاكر إن دول الكفار، الشخص ده بيبقى فاكر إنه بيجاهد في سبيل الله وضحّى بروحه طمعًا في رضا ربه. ماهو عمل حاجة مافيش أغلط منها أهُه، بس كمان لازم نعترف ان نيّته سليمة. عقله بس متركب شمال والله يسامحهم بقه فهّموه غلط، فَبَقَى فاهم غلط. لكن نيّته سليمه، نيّته يرضِي ربّه، لدرجة إنه بيضحّي بحياته نفسها عشان يرضيه. حَيتحاسب ازاي الراجل ده!؟

أنا مرتاح لفكرة مصدّقها؛ إن ربنا لإنه حكيم وعادل حَيحاسبنا على قد عقولنا. مستحيل تنطبق نفس قواعد الحساب على كل الناس، لإن زي ما تلاحظ بسهولة يعني الناس مش زي بعض، ظروفهم مختلفة وإمكانياتهم مختلفة وقدراتهم على فهم أي فكرة مهما كانت بساطتها مش زي بعض. مش ممكن المهندس يتحاسب زي الحداد، ومش ممكن اللي قرا زي اللي ماقراش، ومش ممكن اللي يعرف زي اللي مايعرفش، ومش ممكن اللي لقى حد يعلّمه صح زي اللي مالقاش، ومش ممكن المحروم زي المرتاح ومش ممكن اللي عايش في أدغال أفريقيا زي اللي في أسبانيا زي اللي في سيبيريا زي اللي في الدويقة. مستحيل الناس المختلفين جدًا عن بعض دول، كلهم يتحاسبوا بنفس الطريقة، مستحيل.

وبالرغم من إن ده المنطقي بالنسبالي دلوقتي إلا إني عارف

ان ده مش الحقيقة ولا حاجة، دي فكرتي عمّا يمكن أن يكون قريّب من الحقيقة. بس الحقيقة نفسها عن طريقة الحساب مااعرفهاش. واللي عايز أقولُه بقى من ورا الموضوع ده كله، إن ماحدّش يعرفها، ولا حد. حتى لو كان طالع في التليفزيون لابس جبّة وقفطان وحتّى لو كانوا بينادوه "يا فضيلة الشيخ".. فيه حاجات كتير ممكن نتعلّمها من رجال الدين العارفين الدارسين المخلصين، بس صدقوني مش منها ازاي ربنا حَيحاسبنا.

ماحدّش يعرف ربنا حَيحاسبنا ازاي إلا ربنا. الإنسان كائن معقد جدًّا نفسيًّا واجتماعيًّا، وماعندوش ابيض واسود وأفعالنا بتتأثر بقدرات مخنا وذكاءنا وظروفنا، وبالتالي يبقى مستحيل أي حد غير اللي خالقنا يعرف ازاي حَتتحاسب لأنه الوحيد اللي يعرف كلّ كلّ تلك التفاصيل.

أي معلومات عندنا عن إيه كويس وإيه وحش وإيه يحبه الله ويرضاه أو لا يحبه ولا يرضاه، وإيه بيزود الحسنات حتّى وإيه بيضيف إلى السيئات، لا يمكّننا من إننا نشوف الصورة الكبيرة ونتوقع حساب أي حد في الدنيا لإننا مهما عرفنا عن البني آدم وأفعاله، مش ممكن أبدًا نعرف سرّه، سرّه ربنا بس اللي يعرفه.

فأرجوكو جميعًا.. إوعوا تتكلموا في حساب ربكو، واوعوا تخلّوا أي مدّعي علم ما لا يعلم يبيعلكو أفكار ومفاهيم بتاعته

على إنها الحقيقة، أيًّا كان هو مين، لأن العليم الوحيد بمسألة زي دي على سبيل المثال لا الحصر هو الله علام الغيوب.

أنا شخصيا أخدت عهد على نفسي إني عمري ما حَقول لبنتي إيه بيودّي الجنة وإيه بيودّي النار، حَعلّمها إيه كويس وإيه وحش، إيه صح وإيه غلط. وحَقولّها لما تعملي كويس ربنا إن شاء حَيجازيكي خير عليه، ولما تعملي وحش ربنا إن شاء حَيعاقبك عليه. ولو سألتني ازاي، حقولّها مَااعرَفش، بس اعرف إنه يقدر يِسْعِدِك ويقدر يْشقيكي.

إوعوا حد يفكر لوحده

العقدة الكبرى اللي بتواجه فهمنا لفكرة معقدة جدًا وواسعة وشاملة ويفوق استيعابها قدراتنا المحدودة زي فكرة الله، هي إن المجتمع بتاعنا مابيدّيناش فرصة لاكتشافه بأنفسنا. دايمًا بيفرض على كل واحد فينا من وهو طفل صورة لربنا في أغلب الأحيان بعيدة جدًا عن الواقع، ببساطة لإننا مانعرفش الواقع. ربنا صحيح دلّنا على نفسه جل وعلا في أديانه وعن طريق رسله، بس الدلالات دي كتوع من أنواع العلم اتقلتلنا عن طريق كل من سبقونا، بطريقة فهمهم همّ، بغض النظر عن درجات ذكاءهم ووعيهم وحكمتهم.

الأب والأم لما يقولوا لطفلهم انه لما يكذب حَيروح النار، ولما يسرق حَيروح النار، ولما يبوس جارته حَيروح النار.. ممكن يكبر الطفل ده وهو عنده قناعة ان ربنا عايز يعذّبنا.. بيستنى أخطاءنا عشان يوَدّينا عليها النار!.. لو قالوله مثلًا ربنا بيحبنا لإنه خالقنا وأرواحنا من عنده ونحن خلفاؤه في الأرض

فلازم دايمًا نحاول نبقى بني آدمين كويسين ونسمع كلامه عشان نليق بالمكانة دي، أكيد حَيحصل أثر مختلف. حتى لو الأفعال كانت واحدة، الفلسفة اللي وراها حتبقى مختلفة.

رعب الناس من الحراف ولادهم في المخدرات والخمرة والبنات والولاد، خلّاهم يستعملوا كلمة ربنا عشان يخوّفوهم بيها فمايعملوش حاجة غلط. بيستعملوا فكرة الخوف من ربنا زي بالضبط الخوف من البوليس والقانون والحكومة. بل وفي حالات كتير جدًّا بَشوف ناس أكيد انتو كمان بتشوفوهم، مش باين عليهم بيخافوا من ربنا خالص بس بيخافوا من السجن مثلًا أكتر بكتير. والناس دول هم نتاج نفس المجتمع، اللي اتعلّم بنفس الطريقة.

أنا بَشوف موضوع تخويف الطفل من النار في الحالة دي زي بالضبط انك تذاكر عشان ماتسقطش.. يمكن مايكونش غلط ولا حاجة، بس في عيني أنا الأصح انك المفروض تذاكر عشان تتعلم أولًا؛ فعقلك يرقى وإدراكك يزيد، وعشان تنجح ثانيًا؛ فتدوق طعم النجاح وتحبّه؛ فتفضل تدوّر عليه، وعشان في الآخر بقه تستفيد من كل ده وتفيد اللي حواليك ويا حبذا لو البُعاد عنّك كمان.. هدف التخويف الفاسد ده (كما أحب أن أسمّيه)، بيضيّع على الطفل وهو بيكبر فرصة انّه يدوّر على ربنا ويحاول يفهمه، أو فرصة انه يعرف أصلًا انه المفروض يعمل كده. لإن علاقته بيه بتنحصر في إنك ماتعملش حاجات

غلط وتعمل العبادات ويبقى كده خلاص خلص الموضوع، مع إن الموضوع كده ماخلصش ولا حاجة، ده بدأ بس وممكن حتّى يكون لسة مابدأش.

ربنا بيقول في القرآن ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وأحسن تفسير للآية دي صادفته في حياتي لحد دلوقتي هو اللي د. مصطفى محمود ذكره في كتابه «القرآن.. محاولة لفهم عصري»، كان إن «يعبدون» هنا بمعنى يعرفون.. ربنا خلق البني آدمين دول كلهم وماظهرلُهمش بنفسه جل وعلا أبدا، دلّل على نفسه بس.. من خلال كل خلقه.

الأرض والسما ونظام الكون والميلاد والموت وكل حاجة خلقها بالإبداع ده، ونظّمها بالإتقان ده، عشان يدرك البني آدم ربه من غير ما يشوفه. عشان يعرفه بقلبه، بعقله. عشان لما يقول «لا إله إلا الله» يبقى قاصدها، عشان لما يقول «وإليه يرجع الأمر كله» يبقى فاهمها.

فالرحلة الطويلة بتاعة ان كل واحد يلاقي ربنا في خلقه وفي حكمته وفي قدراته اللامحدودة ماهياش من أهداف ثقافتنا الضحلة، ثقافة فاكرة إن الناس حَيدخلوا الجنة عشان يصلوا ويصوموا وينسوا الهدف الأساسي من ورا حياة البني آدمين أصلًا؛ «ليعبدون» إنك تصدق في ربنا وتثق فيه وتبقى عبد من عبيده. مش العبد اللي بيمارس الطقوس والعبادات

بل الأهم العبد اللي عارف مين سيّده، مين ربه، مين بيرزقه، مين خالقه، ومين حَيرجعله بعد الموت. وفي رأيي لا سبيل لمعرفة كل ده معرفة حقيقية غير إن الواحد يفتح قلبه ومخه وروحه على الدنيا وعالناس وعالتاريخ وعالكون والكائنات، يفكر فيهم ويتدبّر أمرهم. عسى إنه يشوف ربّه.. مش رؤى البصر بل رؤى البصيرة.

الأديـــان

فكرة الدين هي أصلًا فكرة فطرية عند البني آدم لإنه محتاج إله، محتاج إله عشان يفسّر بوجوده ما لا يُمْكِنه أن يفسّره بدونه. زي الخلق مثلًا، السؤال البسيط بتاع «مين خلقني ومين خلق الكون كله؟» كان أعتقد أكبر دافع لبحث البني آدم عن إله يعبده.

أغلب الناس في الدنيا (حتى من معتنقي الديانات غير السماوية) مقتنعين تماما بوجود إله واحد خالق للكون. وبعد كده بتبدأ الاختلافات؛ ربنا بعت للبني آدم رسل ولّا سابه كده؟ وبعتله الرسل ليه؟ هل ربنا بيتدخل في أحداث الدنيا ولّا مابيتدخلش؟ فيه حساب بعد الموت وجنة ونار ولّا مافيش؟ وأسئلة أساسية بيختلف فيها أصحاب التلات ديانات السماوية عن بعض أصحاب الديانات الأخرى.

أنا الحقيقة فيما عدا إن الهندوس والمسلمين المتعصبين من الهنود بيِقَتّلوا في بعض بَقالهم كتير أوي معلوماتي شبه

متعدمة عن أصحاب الديانات البوذية والهندوسية وغيرها بيشوفوا الديانات السماوية ومعتنقيها ازاي، فنعدّي الحتة دي وتخلّينا في نفسنا.

أعتقد اننا ممكن نجزم ان الأغلب الأعم من أصحاب الديانات الثلاثة، كل واحد فيهم شايف ان عقيدته على حق ومعتقد أو مقتنع إن التانيين مش على حق أوي يعني، أو على باطل أساسًا.

الخناقة دي اللي أحيانًا خفية وأحيانًا معلنة بتتمثّل بالنسبالي في إن كل واحد فيهم شايف ان هو اللي حَيدخل الجنة دون الباقيين.. والأخطر إن كل واحد فيهم عايز ربنا يبقى بتاعه هو بس، ومش بتاع بقية الناس.

ويكسر القاعدة السابقة عدد لا بأس به أعتقد (بالرغم من إنه مستحيل تقديره) من البشر على التلات جوانب، مؤمنين ومقتنعين أن الله الواحد هو رب كل الناس. وأن كل واحد من هؤلاء الناس لا فَضْلَ لهُ ولا ذنب في إنه بيعتنق دياته اللي طلع في الدنيا لقاها.

عارف ان الفكرة اللي في أذهان كتير منكو دلوقتي إن «لأ.. لازم البني آدم يدوّر ويحاول يعرف الحقيقة، لازم يقرا الأديان كلها عشان قناعته تبقى حقيقية وخالية من المشاعر» أنا بالنسبالي بصراحة الكلام ده لا يتعدّى التنظير ومش واقعي

ومش مُقْنع على الإطلاق. ببساطة شديدة جدًا عشان أنا مثلًا دلوقتي بني آدم طلعت في الدنيا لقيت أهلي بوذيين، فبقيت بوذي زيّهم، وبعدين وأنا بكْبَر بقه بسأل هم مين الناس التانيين دول؟، ممكن أهلي يقولولي حاجة من اتنين: يا إما والله دول كذا ودول كذا، ودول مقتنعين بكذا ودول مقتنعين بكذا بس كلّهم بيخرّفوا، أما دياناتنا احنا بقه ففيها كذا وكذا وكذا، وهي أعظم ديانات الدنيا. يا إمّا أهلي دول يبقوا ناس بيفكروا بطريقة مختلفة فيقولولي الناس دول كلّهم ناس كويسين وعايزين يبقوا كويسين أكتر، وبيعبدوا ربنا برضُه بس بطريقة مختلفة وكل طرق عبادة ربنا صح، المهم الدين بتاعك ده فعلًا بيخلّيك بني آدم أحسن ولّا لأ. في كلتا الحالتين أنا شخصيا واضح بالنسبالي إن مافيش سبب أصلًا يدعو الشخص ده إنه يروح يدوّر في الديانات التانية، حَيدوّر ليه؟!

وتُضيف كمان على صعوبة انك تدوّر، صعوبة انّك تغيّر دينك، عمليًا بقَه أهلك بيقاطعوك، إصحابك بيتغيّروا وحياتك كلّها بتتقلب رأسًا على عقب، فأي حد يقول لازم الناس تروح تدوّر وبتاع يبقى بيكذب على نفسه. ومش حَسمعه أبدا غير لو كان هو نفسه عمل كده. وحتى ساعتها لمّا اسمعه، حَيبقى ده عشان هوّ مَرّ بتجربة إنسانية فريدة، بس برضُه حَبقى عارف كويس ان أغلب البشر لا يَقْدِرون عليها.

وبالرغم مما سبق، فيه نسبة قليلة جدًا من الناس في الدنيا

بيضطرّوا يعملوا كده، لمّا مثلًا واحد يبقى ذكي كفاية وفطرته فضولية كفاية، ويبقى عنده مشكلة بقه مع الدين اللي طلع الدنيا لقاه. سؤال مهم مابيجاوبش عليه الدين، حاجة أساسية مش عارفة تدخل مخّه، لازم يبقى عنده حاجة أصلًا رافضها. فيروح بقه الشخص ده يدوّر في الأديان الأخرى على دين آخر يكون بيُزيل علامات الاستفهام اللي عنده ويقلل حيرته ويكلّم عقله بطريقة يحس انها منطقية أكتر بالنسباله. بس مش كل الناس ولا عشرهم حتّى يقدروا يعملوا كده، ولا عندهم الشجاعة الكافية ولا عندهم البصيرة الكافية، وزي ما أعتقد اننا اتفقنا مَاعندهمش أصلًا سبب يدعوهم انهم يعملوا كده.

لو بس كل واحد يفكّر ٣٠ ثانية في المسألة دي ويحط نفسه مكان الآخر اللي بينتقد دينه وعقيدته وشايفه على ضلال، حتتفض الخناقة فورًا. وتبقى في النهاية المسألة عبارة عن قناعات مختلفة مابتنفيش بعض، والأهم إنها مابتكرهش بعض. وبعد بقَه ما تتفض الخناقة، اللي عاوز يذاكر في أي دين ويحبّه ويعتقد فيه ويعتنقه، هو حر. أنا شخصيًّا مسلم وعندي في قرآني ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾. ربنا بيقول للبني آدم صراحةً كده، إنّه لو عايز يَكْفُرْ بيه أصلًا، يتفضل. وكل واحد حَيتحمّل تبعات اختياراته. يتحمّلها قدّام ربنا مش قدّام الناس، الناس مالهمش دعوة بالمسألة دي.

وأخيرا، عشان مش عايز أخوض في تفاصيل أكتر من كده لحساسية الموضوع، الخناقة دي اللي كل واحد عايز يكسب فيها بإنّه يثبت لنفسه وللآخرين إن ربنا بتاعه هو ومن معه، وبقية الناس حَيروحوا النار خناقة بالإضافة إلى إنها مضرّة جدًّا، هي كمان العكس الصريح لما تنادي به كل أديان السما وكل أديان الدنيا حتّى، من تسامح ومن تقبّل الآخر المختلف.

التعصب اللي بتخلقه الخناقة هو اللي في رأيي بيفسد النظرة للبني آدمين كلّهم على إنهم من صنع خالق واحد، وله وحده الأمر فيما يعتقدون أو لا يعتقدون، وهو الوحيد الذي يملك الحكم على سرّهم وسريرتهم لإنه تعالى هو الوحيد اللي يعلمها.

خداع البصر..

مافيش شك ان احنا فعلا كمصريين من أكتر شعوب الأرض تدينًا، ممكن يكون ده في طبيعة تركيبتنا الاجتماعية التاريخية أصلًا، بغض النظر عن الإسلام كدين الأغلبية في مصر دلوقتي. مصر على مرّ تاريخها الطويل كانت دايما أمّة مهتمة بالدين بل تقدّسه.

فسواء ده كان السبب الوحيد فعلا أو كان فيه أسباب أخرى للتديّن الواضح على المصريين؛ من أحوال اقتصادية، لطريقة تربية، للظرف السياسي، للتركيبة الاجتماعية (العجيبة)، لنوع الخطاب الديني، أو لغيره وغيره. في كل الأحوال تبقى الحقيقة ان فيه تديّن كتير جدًا في الظاهر المصري. تقول لحد «صباح الخير»، يقولّك «عليكم السلام»، تقول «الرسول» يقولوا «عليه الصلاة والسلام»، ناس تتخانق يقولوا «لا إله إلا الله»، ناس تتصالح يقولوا «سبحان الله»، تجيب حاجة جديدة «ما شاء الله»، تركب الأسانسير تقرا دعاء الركوب، تروح محل

تسمع قرآن، تركب تاكسي تسمع قرآن، تكلّم حد في التليفون ويحطّك عال waiting تسمع قرآن برضُه، حد يتنرفز يقولوله «صلّي عالنبي» وهو يقول «أستغفر الله العظيم»، والجوامع عامرة وعمرو خالد عنده ملايين المريدين، وملايين أكتر بيصلوا التراويح في رمضان. ومش برامج دينية بقه لأ ده كان زمان، دي محطاااات.. الله الله الله، حلو أوي أوي الكلام ده ولو حد شافنا من بره يقول ده الناس دول كلهم حَيروحوا الجنة طابور.

المجتمع اللي مليان تَديُّن ده بقه لدرجة إنه بيدلدق في الشارع، هو نفس المجتمع اللي البنت بتتعاكس بل وبيِتْحَرَش بيها على مرأى ومسمع من الناس وماحدّش بيتكلم حتّى يقول «عيب». هو نفس المجتمع اللي أغلب سكّانه بيروحوا الشغل يعِدّوا الساعات لحد ما يروّحوا، مش عشان يشتغلوا. يعني هو «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه» ده مش دين برضُه ولا ده تفاريح ولا إيه؟!.. «تَبَسُّمُك في وجه أخيك صدقة» ده دين برضُه ولا بِدعة؟!. «رحم الله امرءًا سمحا إذا باع وسمحًا إذا اشترى» ده في الدين ولا مش في الدين؟؟ في الدين ولا مش في الدين «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»؟ بالله عليكم، إحنا ناس عندنا مكارم أخلاق؟!

ولو نزلت الجامع اللي جنب بيتكو تقولّهم وطّوا صوت الميكروفون ده لإنه عالي ومزعج، حتلاقيهم واقفينلك

كإنهم بيدافعوا عن الحضارة الإسلامية المنقرضة، مع إنهم بيدافعوا عن فعل قبيح وذميم ولا له أدنى علاقة بالدين، الإسلام مافيهوش ولا ميكروفونات ولا سمّاعات كبيرة ولا أصوات أحيانًا أنكر من أصوات الحمير وفاكرين نفسهم النقشبندي.

شوف بنتعامل مع الموت ازاي، وإنت تعرف إن أغلب تدينّا ظاهري، شوف العلاقة بين الراجل ومراته عاملة ازاي في أغلب البيوت المصرية، تعرف إن أغلب تدينّا ظاهري، شوف اللي بيطلب منك رشوة بيصلّي ولا لأ، شوف اللي كَرْوِتْلَك آخر شغلانة عنده زبيبة ولا لأ، شوف كام واحد باعلك حاجة قديمة على إنها جديدة، شوف الناس بتكلّم بعض ازاي، شوف الناس بتسوق ازاي، شوف الناس بتقتات على سيرة بعض ازاي، شوف كام واحد بيسكت عالظلم، شوف كام واحد بيظّلِم، شوف كام واحد مابيعملش اللي عليه، شوف كام واحد بيخاف من البني آدمين ومابيخافش من اللي خالقهم، شوف أي حاجة انت عايزها وعدّ كام واحد من اللي بيعملوا كل ما سبق وأكتر بيصلّوا ويصوموا، تعرف على طول اننا لم نتعدى قشرة قشرة القشرة بتاعة الدين الواسع السمح الجميل اللي من شأنه إذا فُهِمَ كما ينبغي، إنه يعمل مجتمع مختلف تمامًا عن اللي احنا فيه ده. مايتفعش التدين يبقى ستارة بنخبّي وراها وحاشتنا وكذبنا وسلبيتنا وأنانيتنا وعدم اهتمامنا ولا بالشغل

ولا بالناس ولا بالوطن ولا بالشارع حتّى، بس شاطرين في الهتافات والشعارات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!!

وعشان انا متعود ان كل واحد بيسمع وبيشوف بس اللي هو عايزه، إرجع كده إقرا الموضوع من الأول حرفًا حرفًا، حتلاقيني عمري ما انتقدت التديّن ولا الدين نفسه أبدًا. أنا بَنتقد الطريقة الجوفاء الخالية من المعنى والقيمة اللي للأسف الواقع بِيُؤكّد إنها طريقة أغلبنا في العبادة.

وأنا ماجِبْتِش سيرة المسيحيين في الموضوع ده على فكرة مش عشان أقباط مصر كلهم ملايكة ولا حاجة، بل على سبيل درء الحساسيات، عشان ماحدّش يقولّي انت مالك بينا.

بس عمومًا أنا ماكانش قصدي حتّى المسلمين، أنا قصدي أي بني آدم عامل نفسه يعرف ربنا ويعمل حاجات من بره بس، يورّي بيها الناس إنه يعرف ربنا، وتدوّر وراه تقول أكيد ده مايعرفش حاجة خالص.

الله العليم وأنا مَاعرَفش حاجة أبدا، بس بيتهيألي كده بيتهيألي إن صحيح الدين كلّه هدفه عبادة ربنا، بس كمان مافيش دين في تاريخ الأرض، حتى الأديان اللي البني آدمين عملوها، مابِيَهْدِفش ـ بعد العبادة على طول ويمكن حتى قبلها ـ إنه ينظّم المعاملات، ويرقى بالأخلاق، ويقدّس العمل ليعمّر الأرض.

بَس.

ليه بنصلّي؟

الصلاة عبادة خاصة جدًا لعدة أسباب؛ أولها وأهمها انها متكررة، الصلاة بتْرجِم وبِتْدُلّ على اتجاه البني آدم لربنا في كل الأوقات. المشكلة بقه اللي أنا بَعتقد ان ممكن تكرار الصلاة يؤدي إليها، إنها ممكن جدًا تتحول إلى روتين بيعمله الشخص من غير تفكير. فتلاقي بقه الشخص ده اللي أفعاله مش لايقة خالص على إنه يعرف ربّنا وبيتْجهله كل يوم!

ومن ناحية تانية تلاقي ناس بيقولوا لهذا الشخص «صلاة إيه اللي انت بتصلّيها دي؟» وهو صحيح منطقي إن لازم البني آدم اللي بيصلّي بشكل دوري ده يبان عليه فرق، في سلوكه ومعاملاته وشغله وكل حاجة، بس كمان مش لازم ننسى ان الصلاة علاقة خاصة بين البني آدم وربّه ومش من حق أي حد يتحشر فيها.

عشان البني آدم يحمي نفسه من إن صلاته تبقى روتين موظفين في رأيي مافيش غير حل واحد، لازم تعرف انت

بتصلّي ليه، تسأل حد يقولّك وتقتنع برأيه ماشي، تدوّر في نفسك وتلاقي سبب تصلّي عشانه ماشي، بس لازم تجاوب على السؤال وتبقى إجابتك منطقية ومقنعة على الأقل بالنسبالك. يعني أكيد مش المهم إنك تقوم وتقعد ولا إنك ترسم صلبان على صدرك.. المهم هو إيه اللي ورا اللي انت بتعمله ده؟ بتصلّي ليه؟ بتصلّي عشان يحصل إيه؟

تصلّي عشان تدخل الجنة، أو تصلّي عشان خايف من النار مش كفاية خالص والله أعلم طبعًا، لإنك ممكن ماتصلّيش وتدخل الجنة عشان حاجة تانية، ممكن تعيش حياتك كلّها ماتستحقش غير العقاب وبعدين تتوب، وممكن العكس. نعرف منين احنا؟ وبعدين مش احنا مقتنعين مثلًا ان الشهداء حَيروحوا الجنّة؟، طب والشهيد اللي ماكانش بيصلّي؟ إوعى تجاوب! ما قلنا بقه، إحنا مانعرفش. وممكن تصلّي طول حياتك وصلاتك ماتُقْبَلْش. برضُه إيش عرّفنا، هو احنا دخلنا في قلبك؟ هو احنا ربنا؟!

طبعا أبدًا مابقولش إن مافيش منّنا ناس عندهم فلسفة حقيقية وجميلة من ورا الصلاة، بل أتعشّم أن يكونوا كثيرين، اللي خشوعهم في صلاتهم بيرتقي بأرواحهم ويقرّبهم من خالقهم، مما ينعكس على أخلاقهم ومعاملاتهم وشغلهم ووجهات نظرهم والطريقة اللي بيعيشوا بيها. بس عدم وجود فلسفة واضحة من ورا الصلاة في أذهان الكثيرين وانحصارها

في إن اللي بيصلّي حَيروح الجنة واللي مابيصلّيش حَيروح النار باين جدًّا علينا.

اللخبطة دي بتطلع كمان في صور تانية، يعني تلاقي مثلًا حد يقولوله «ماينفعش تصلّي وانت بتعمل حاجات غلط»، فيقول «خلاص أنا لما ابطّل بقه حَبقى أصلّي». وحَدّ تاني يقولوله «صلّي بس، وربّنا حَيكرمك»، ويتساءل هوّ: «طب أنا لمّا بصَلّي مابيحصلّيش حاجات كويسة يعني! يبقى لازمتها إيه الصلاة؟» وحد تالت يقولوله «الفرق بين البني آدم الكويس واللي مش كويس هو الصلاة»، ويفكّر هوّ: «طب ما انا بشوف ناس كتير جدًّا بتصلّي وأخلاقهم زي الزفت، بل الحرامية والمرتشين والفاسدين والزبالة دي كلها غالبا بيصلّوا ويصوموا ويحجّوا وكله تمام، يعني الصلاة مابتخلّيش البني آدم كويس ولا حاجة، ما انا أبقى كويس من غير صلاة!!» وحد تاني يقولوله «لأ ماينفعش تصلّي مفرّط كده، يا تصلّي كلّه يا ماتصلّيش» فيقول هو بينه وبين نفسه «خلاص ما اصلّيش».. إنتو مالكو انتو؟ هو بيصلّيلكو ولا بيصلّي لربّه؟ إيش حَشَرْكو في الموضوع؟!

أنا شخصيًّا بقالي سنين طويلة مقتنع إني بصلّي على سبيل الأدب؛ أنا مصدّق إن ربنا أمر بالصلاة، والحمد لله ماعنديش ما يمنعني من الصلاة وأقدر عليها فلازم أصلي.. وبالرغم من إني ما زلت مقتنع إن المنطق ده سليم إلّا إني بقالي شوية كده

حاسس انه ناقص. وأعتقد اني بدأت افهم إيه اللي ناقص، إلى أن يأذن ربكم بغيره.

الصلاة زي ما اتفقنا هي أصلًا فكرة الرجوع المتكرر لربنا (رمزًا أكتر ماهو فعلًا). فكرة ان زي ما كل الناس حلو ووحش بيموتوا وبيرجعوا للّي خالقهم. شرحُه وهم عايشين، كله بيرجع. الصالح يروح لربه والطالح يروح كمان. واحد تقي بيتعبد في خشوع رجوعًا إلى ربه وواحد حرامي بيصلي ركعتين قبل ما ينزل يسرق، أو بيدعي ربنا انه يسترها عليه من البوليس. غلط؟ مش موضوع غلط ولّا صح.. هو موضوع طبيعي انه يحصل. هو الحرامي يعني عنده رب تاني؟ مَاعندوش، هو نفس الإله، كله بيرجعله.

ولما تطبّق ده على أي حد مش مجرم يعني ولا حاجة تلاقي نفس المسألة.. بتصلّي دلوقتي عشان محتاج حاجة، وبعد شوية عشان خايف من حاجة، وبكرة عشان نِفْسَك في حاجة، وبَعدُه عشان تشكر ربنا على حاجة، وبعد بَعْده عشان ضميرك مأنبك لإنّك عملت حاجة وبعد بعد بعده عشان عايز تدخل الجنة، عايز ماتدخلش النار، متضايق، مكتئب، شفت منظر أثّر فيك، حد مات، حد عيي.. كل يوم وكل ساعة وكل ثانية فيه ألف حاجة أو أكتر ترجّعنا لربنا.. تعمل كويس ترجعله وانت فرحان بنفسك، تعمل وحش ترجعله وانت متضايق من نفسك. تنجح تروحله، تفشل تروحله، تفرح تروحله، تحزن

تروحله، حالتك النفسية لايقة على التعبّد تجيله، مش مركّز ومتضايق وبتفكر في مليون حاجة برضُه تجيله.

دايمًا تجيله.. دايمًا تروحله. وهو مصدر روحك ومرجعها.. وانت منه وإليه، وماحدّش بتحشر بينك وبينه أبدًا فهو أقربُ إليك من حبل الوريد.

ليه الناس مش زي بعض؟!

الموضوع ده كان دايمًا من أكتر الحاجات اللي بتحَيرني في الدنيا، بس مؤخرا بقى عندي إجابة عليه مَاعرَفش طبعًا حتدوم لحد إمتى بس هي بتاعة دلوقتي.

ليه ربنا خلق الناس واحد طويل وواحد قصيّر، واحد قوي وواحد ضعيف، واحد قيادي وواحد انقيادي، ذكي وغبي، دمه تقيل ودمه خفيف، مفتري وغلبان، شقي وسعيد، غني وفقير، ليه؟

الإجابة اللي مرتاحلها دلوقتي هي: إن عشان كل اللي فات ده وغيره الحياة بتحصل أصلًا. الـ conflict، الصراع اللي بين كل الأضداد دي هو اللي بيخلّي الحياة تتحرك، هو اللي بيخلق دراما، هو اللي بيخلق مشاعر. لو الناس زي بعض ماكانتش الحياة وجدت أصلًا.

وبعدين لما تبصّ على الدنيا تلاقيها كلها اتنينات؛ الكائنات

أزواج؛ ذكر وأنثى. كل صفة فيه عكسها؛ كَرَم وبُخل، نُبل ونذالة، قوة وضعف. المشاعر نفس الحكاية؛ حب وكراهية، تواضع وغرور، حزن وفَرَح. كل حاجة اتنين.

بل وأصلًا أصلًا الذرَّة المُكوِّنة لكل الأشياء فيها اتنين، فيها كهربا سالب وموجب. كل حاجة اتنين عشان الاتنين أي حاجة لما يخبطوا في بعض، لما يتفاعلوا مع بعض بيطلّعوا حاجة تالتة. وربنا خالق الدنيا عشان تعيش وتتحرك وتنتج وتغلط وتبدع. وكل ما بقى فيها أضداد، كل ما الصراع زاد وكل ما الحركة زادت وكل ما الإبداع زاد وكل ما الحياة زادت.

لو الناس زي بعض ماكنّاش كنّا، كلّنا.. كلّنا مهمّين للدنيا، كلّنا لازم نبقى موجودين.. بكل اختلافاتنا دي، بكل الفروق اللي بينّا دي، بكل اللي ممكن نكون بنكرهه في بعض ده!!!

ازاي الناس زيّ بعض؟!!!

الناس زي بعض مبدئيا كده عشان بيحسّوا بنفس الحاجات. بيتوجعوا نفس الوجع مثلًا. فكروا كده إن كل بني آدم عاش على وجه البسيطة ضرسه وجَعه، كلهم حسوا نفس الإحساس؛ الملك الفرنساوي اللي عاش من ٢٠٠ سنة، والفلاح المصري اللي عاش من ٣٠٠٠ سنة والصياد الإثيوبي والنجار الياباني، كل الناس اللي ضرسهم وجعهم بنفس العَرَض، حَسّوا بنفس الإحساس.. توحّد مذهل!

كل واحد قلبه اتكسر حَس بنفس الإحساس، كل واحد مااتله حد بيحبّه حَس بنفس الإحساس، كل واحد تعب لحد ما نجح حَس بنفس الإحساس.

الناس زي بعض عشان كل بني آدم في الدنيا رايح يقابل حبيبته بيحسّ بنفس الزغزغه في روحه.. (بيسمّيها الخواجات «butterflies» يعني «فراشات»، بس مش عارف احنا ليه ماعندناش ليها اسم مع إنّها بتحصلّنا كلنا زيّهم بالظبط!!)

الناس زي بعض عشان كل ما بيصحوا متأخرين ووراهم معاد بيتلَهْوِجوا ويلفّوا حوالين نفسهم مع إن ده بيضيّع وقت أكتر.

الناس زي بعض عشان أي بني آدم يدخل أسانسير فيه مراية لازم يبص على نفسه (مع ملاحظة إن دي بصّة مختلفة عن بتاعة مراية الحمّام، ومع ملاحظة أيضا إن البصّتين دول مختلفين عن البصة في أي مراية تانية تكون في مكان فيه حواليك ناس!!)

الناس زي بعض عشان كل واحد فينا بيكلّم نفسه ساعات ولو حد شافك بتتكسف جدًّا جدًّا جدًّا وبتحاول تخلّيه يفتكر انّك كنت بتغنّي أغنية اسمها «إيه اللي عملته في نفسك ده يا حمار».. ومش عارف بتتكسف ليه من الحكاية دي مع إننا كلّنا عارفين ان كلّنا بنعمل كدة!!)

الناس زي بعض عشان لو أيّ حد غلبك في الكلام؛ في خناقة ولّا في مناقشة ولّا قالّك كلمة بايخة وماعرفتش ترد رد يرضي غرورك ويَحْفظلك كرامتك، بتخلّص الخناقة دي بعدين وانت لوحدك، وتفضل تعيد وتزيد في نفس الرد اللي أخيرًا لقيته وانت عمّال تضرب نفسك صُرَم إنّك مافكرتش تقول كده ساعة ما كنت المفروض تقول كده.

الفرح واحد..

الحزن واحد..

القلق واحد..

الإحباط واحد..

الخوف واحد..

الأمل واحد..

التشبُّث بالحياة واحد..

الناس مختلفين من بره آه بس جوه واحد. ماهُمّ نفس الناس!.. نفس المصدر.. نفس المصير.

المــوت

ماذا أقول عن هذا الضيف السخيف السثيل المكروه دائما بغض النظر عن الظروف؟؟

الضيف اللي مش ضيف ولا حاجة، ده احنا اللي ضيوف!

مش عايز أقول حاجة عن كآبة الموت لإن كلّكو عارفينها كويس، بس عايز أحاول أبصّله من منظور مختلف.

أولا ماحدّش يقدر ينكر أبدا أبدا إن الموت عنده ميزات عبقرية. فجأة كده تخلص كل مسئوليات البني آدم، كل حاجة كان خايف منها في الدنيا، كل حاجة كانت قالقاه، كل حاجة كانت وراه ومابيعملهاش ومحسساه انه مقصّر. فجأة يبقى مش محتاج تاني ياخد قرار صعب، فجأة يبقى مش محتاج يبذل مجهود عشان يعرف يقول إيه ولّا يتصرّف ازاي، فجأة يبقى مش مهم خالص كل الناس فاكرين إيه، فجأة يبقى الماضي والمستقبل حاجة واحدة.. ياااااااااه.

فجأة مافيش اختيارات، مافيش حيرة، مافيش كده أحسن ولا كده، مافيش أعمل ده ولّا ده، مافيش حتى صح وغلط، خلصت الحكاية. بيتهيألي أقرب حاجة للشعور ده، اللحظة اللي كانت في الامتحانات لما الواحد بيخلّص ويسلّم الورقة، حتى لو كان قلقان شوية، حتى لو ناقصه سؤال مالحقش يجاوبه، مش مهم. المهم اني خلصت من الحمل ده دلوقتي وخلاص.

الرد المنطقي على كلامي هو: «بس الكلام ده لمّا تكون عارف انك مش حتسقط يعني، أو عارف انّك حتجيب المجموع اللي بِتْسك فيه» وعندكو حق، أنا كنت بكره الامتحانات صحيح كُرْه العما نَفْسه لكن كنت نبيه وشاطر وماكنتش بخاف أسقط ولا حاجة.

وأعتقد والله أعلم اني نبيه وشاطر في الدنيا برضُه وحاسس ان ربنا بيحبّني وحاسس إنه حَيغفرلي ذنوبي وحاسس اني عمري ما عملت حاجة تستحق غضبه عليّا. وعارف إن ربي جميل وحنون وعارف انه عارفني. حاسس كده ان انا بني آدم كويس، ساعات حتى بَبْقى عارف اني بني آدم كويس. ويمكن عشان كده بحِس اني مش خايف من الموت.. وممكن طبعا أكون بقول ده جهلا عشان مااعرفش، عشان ماشفتش بعيني، بس ده إحساسي وخلاص.

أصل حَيحصل إيه يعني؟.. رب هنا هو رب هناك.. ده هنا

اللي بخوّف أكتر. ويمكن ممكن تكون حنرجع مكان ما جينا، مش الروح طاقة؟ ما الفيزيا بتقول ان الطاقة ولا بتِتْخلق ولا بتِفْنى. يعني أرواحنا قبل ماتسكن أجسادنا بتبقى في مكان ما، فممكن جدًا نبقى حنرجع لنفس المكان. ولو احنا كنّا هناك أصلا يبقى أكيد مافيش حاجة تخوّف!.. ويمكن هو أنا حاموت لوحدي؟ ما اللي حَيحصلّي لما أموت حصل لكل المليارات اللي ماتوا قبلي، وماحدّش رجع اشتكى، صح؟ :)

الموت كمان بيجيبلي فكرة مهمة أعتقد، فكرة عن إشباع الفضول. مش احنا عايشين حياتنا كلها مش عارفين حاجة عن الموت، مش عارفين حاجة عن الموت، مش عارفين حاجة عن الموت؟ حنعرف بقه. ليه ماتكونش لحظة الموت دي لحظة نور، نور معرفة الحقيقة، نور معرفة الرب الإله الواحد. حتى اللي مشي من الدنيا وهو مش مصدّق في ربنا حَيصدّق. واللي مصدّق حَيتأكد، وحتيجي اللحظة اللي حَيْشبعُه فيها يقينه.

همّ صحيح بيقولولنا صورة مرعبة كده عن حدّ بيزعّق في القبر ويقول «مين ربّك» بصوت ترتعد له أوصالك اللي ماتت حتى.. لكن مين اللي قال ان الحد ده مرعب؟! ليه مايكونش سؤال لطيف بصوت واطي وجميل، وليه مايكونش مافيش سؤال بالمعنى اللي احنا فاهمينه أصلًا والله أعلم بنا من أنفسنا!

بصوا بقه الكدب خيبة، أنا ممكن أكون فعلًا مش خايف من الموت وممكن أكون فعلًا مش متعلّق بالحياة بس من يوم ما بنتي جت الدنيا وأنا بقيت بَدْعي ربنا أقولّه «يا رب مدّ في أجلي لحد ما تبقى قوية تقدر تعيش من غيري، مدّ في أجلي لحد ما اعلّمها كل حاجة اقدر اعلّمهالها».

وبعدين تِعْبِت عيني من الدموع وأنا بكتب الموضوع ده، ومش عارف سببها أصلًا من كتر الحاجات اللي حاسس بيها فكفاية كده..

صمت طويـــــــل.....

الحـيرة

الرباعية الجاهينية بتقول:

لا تجبر الإنسان ولا تخيره
يكفيه ما فيه من عقل بيحَيّره
اللي النهارده بيطلبه ويشتهيه
هو اللي بكرة بيشتهي غيره

الحيرة قد تبدو من برّه كده إنها حاجة وحشة. ده أحسن ولا ده؟!.. ده أفْيَد ولا ده؟! أعمل كده ولّا أعمل كده؟.. ولّا ماعْمِلْش أصلًا؟!.. عشرات عشرات الأسئلة كل يوم في راس كل واحد فينا.. والغريب جدًّا انك كل ما تعرف أكتر كل ما تحتار أكتر.. علاقة غير سوية في شكلها بس سوية جدًّا في مضمونها.. لإن لو البني آدم كل ما عرف بطّل يسأل، ماكانش مشي لقدام.. قدره إنه دايما يفضل حَيران ومش عارف.. الحيرة قدرنا.. الحيرة قدرنا لإن البني آدم هو الكائن الوحيد

على الأرض اللي بيختار، لإنه الكائن الوحيد اللي بيختار وعشان كده هو الكائن الوحيد اللي حيتحاسب.

نقمة وعذاب مُغَلّفين بنعمة عظيمة جدًا.. مين ممكن يختار يبقى شجرة أو زرافة أو حصان بدل ما يبقى بني آدم! عارف ان ناس كتير حتقول «أنا.. حَد طايل» بس كمان عارف ان ساعة الجد لو عُرِض على البني آدم فعلًا انه يتخلّى عن قدرته على الاختيار، عمره ما حَيوافق مهما كانت ظروفه، مهما كانت حيرته.

ويمكن ده اللي خلّى الحرية أحلى فكرة في الوجود، ومافيش حريّة من غير حيرة.. من أول التاريخ أكتر حاجة في الدنيا راح ضَحِيّتها شهداء.. الحرية.. يمكن عشان البني آدم أصلًا معمول من الحرية. أول قصة في تاريخ البشرية عن الحريّة، آدم.. خلقه ربنا حُرْ، خلقه وقالّه ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ كان حر أهه آدم، كان حر يظلم نَفْسُه. ربنا ماعَمَلش سور للشجرة، ماخلّاش الشجرة عالية على آدم، سابله ربنا الاختيار. سابلنا ربنا الاختيار. والاختيار يعني حرية.

حتّى الملايكة مسيّرين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ

مَا يُؤْمَرُونَ﴾ حتى الشمس مسيّرة.. حتى البحر مسيّر.. حتى النجوم مسيّرة.. كلّه مسيّر.. إلا احنا..

التاريخ علّمنا ان أي حضارة على الأرض بعد ما تستقر لفترة طويلة وتزدهر فيها العلوم والفنون ويزيد الخير بأنواعُه.. بتبدأ تنزل، تنحدر.. قد يكون عشان الفلوس لما بتكتر بيزيد الفساد، أو عشان البني آدم لما يبقى عنده كل حاجة محتاجها بيبدأ يطمع. بس انا بيتهيألي إن ده مرتبط بطريقة عكسية بالحيرة.. بإنْ كل ما سبق بيخلّي البني آدم يبطّل يشك، يبطّل يحتار، فيفتكر انه سيد قراره وانه بيتحكم في مصيره.. ثم طاااااخ.. عند اللحظة دي تحديدًا بيبدأ ينهار لإنه تخلّى عن مفتاح سر وجوده وتقدمه ونجاحه.. حيرته..

ماينفعش كمان تُذكر الحيرة من غير ما يُذكر ازاي دايما ربنا، في حاجات كتير جدًّا، عايزنا نفضل محتارين.. كان ممكن يقولّنا أكتر عن الموت، عن الروح، عن أنفسنا، عن نفسه سبحانه وتعالى، بس ماقالش.. إدّى إشارات بس، وكل واحد وذكاؤه، تقلّ أسئلته أو تزيد، يجيله يقين أو مايجيلوش.. برضُه يفضل محتار. عشان يفضل بني آدم.

الضمير

الحيرة والاختيار بيَعْنوا كمان إن البني آدم هو الكائن الوحيد على الأرض اللي عنده ضمير. ساعات بَحسّ، والله العليم إن ربنا حَيحاسبنا على ضمايرنا بس. مكمن السرّ، محرك البني آدم ومُوَجّهُه.. أجدادنا، مَن عاشوا على هذه الأرض الطيبة من آلاف السنين كتبوا في كتاب الموتى إن الميّت بيوضع قلبه في كفّة ميزان وفي الكفّة التانية ريشة. ريشة، أخف حاجة ممكن يوْزنوا قصادها قلب بني آدم. عشان اختيار صعب، عشان القلب ممكن يبقى أخَفّ من الريشة، عشان الضمير ممكن يبقى أخَف من الريشة وياويلك لو ضميرك أخف من الريشة.

الضمير هو سر الأسرار، الضمير هو الفرق بين الكويس والوحش، بين الطيب والشرير. الضمير هو خالقنا متمثّل فينا، عايزك تبقى خيّر، عايزك تبقى طيّب وحنون وجدع. عايزك تشتغل كويس وتحب بإخلاص. ضميرك عايزك ماتزعّلش

حد، ضميرك عايزك تبات مغلوب ولا تباتش غالب. ضميرك عايزك أمين وصادق وموفي بالوعد. ضميرك هو أنت كما تُحِب أن تكون. كما يُحِبُّ الله أن تكون.

ضميرك هو سرّك فحافظ عليه. من غير ضميرك، مافيش حاجة تانية مهمة أصلًا. مافيش حاجة تنفع. ضميرك هو الوحيد القادر إنه ينيّمك مستريح ملْء جفنيك أو ماينيّمكش أبدا.. ضميرك هو أعزّ ما تملك.

اللهم ألهمني القوة والقدرة على إرضائه.. على إرضائك.

النّفْس

عدُوّ الضمير الأول والأخير.. عدو الضمير الوحيد.. النّفْس، نفْسَك، نَفْسِي. مصدر المتعة فهي مكْمَن اللذة والاستمتاع، نفسك هي الجزء اللي مِنّك بيدوّر على مصلحتك اللحظية القريبة، نفسك هي اللي عايزاك تاكل أكل حلو وتلبس كويس وتبقى معاك فلوس تستمتع بيها، وأحيانًا تتعالى بيها على البشر.

نَفْسك هي باب الشرور، نفسك الغيّارة الحقودة الطامعة. نفسك الأنانية قصيرة النظر.. نفس الطاغية هيّ اللي عايزاه يبقى طاغية، نفس المُنتَقِم هيّ اللي عايزاه ينتقم، نَفْسَك هي مصدر كل الشرور.

كتير من أخطاء النفس بيُرجعها أصحابها للشيطان الشرير الوحش، بيكْثُر في هذا الجزء من العالم الحديث عن الشيطان كمصدر خارجي للفتنة وبيقِلّ الحديث عن الشيطان اللي جوايا.. نفسي.

نَفْسك عايزة تاخدك لتحت، لطبيعتك الأرضية الحَيوانية، وروحك عايزة تمتد عشان تِوْصَل لخالقها، والخناقة اللي بين الاتنين تسمّى «بني آدم».

بني آدم يا إمّا يُرَوّض «نفسه» فيزداد آدمية وترقى روحه ومايبقاش طمّاع عايز كل حاجة ومايبقاش أناني مش شايف غير نفسه، يا إمّا يمشي ورا «نفسه» فتحوّله «نفسه» الى خروف.

خروف شأنه شأن كل الحيوانات، بياكل لحد ما الأكل يخلص، زي الحيوان اللي جوه البني آدم.

بيعلّمونا واحنا صغيرين «القناعة كنز لا يَفْنَى» ليه بقه لا يفنى؟.. لا يفنى عشان هو مش كنز من الأشياء اللي بنحب نمتلكها ونرصّها جنب بعض، بل هو كنز من القناعة، قناعة انّك تعوز أقل، تحب الدنيا وتطمع فيها أقل.. وبيجيلي دايمًا شعور كل ما تُذْكَر الحكمة دي، إن الناس فاكرينها معمولة عشان الفقرا، القناعة مش للّي مامعاهوش بس، القناعة الحقيقية في رأيي للّي معاه، بس مش عايز... ازاي مش عايز؟ بيتعلّم كده، بيعلّم «نَفْسُه» كده.

الأديان كلّها مليئة بِحِيَل لمقاومة النفس، بدل ما تلعب على طول، صلّي وافتكر ربنا، خد فلوس من نَفْسك ادّيها للغلابة، صوم عشان تتعلّم يبقى نِفْسَك في حاجة حتموت وتاكلها بس ما تاكلهاش. عطشان والدنيا حَرّ مش قاادر، ماتشربش. وقصير

النظر يفتكر ان ده كلّه عشان يِرْضِي ربنا!. ربنا مش محتاج مننا حاجة، ربنا عامل كل دول عشانّا إحنا مش عشانه.

كل ما سبق لو تعدّى الظاهر ودخل على قلب اللي بيعمله حيساعد البني آدم انه يفهم اللي فهموه المتصوفين والرُّهْبان والنسّاك والزُّهّاد وحتّى رهبان الهندوس والبوذيين وغيرهم، اللي بيزهدوا في الدنيا ويستبدلوا بيها هدفهم الأسمى من ورا حياتهم كلها وهو الوصول للتنوّر (The Enlightenment).

والتنوّر المقصود هو التنوّر بنور الحقيقة. الأمر اللي بيستحيل من غير ما تتخلص من نفسك. لازم تتخلص من نفسك، مش تموّتها بل تتخلص منها، باستعمال الزهد والصبر والتَرَفُّع في مقاومتها. كل السابق ذكرهم فهموا حقيقة ان نفسك كل ما تدّيها من متاع الدنيا كل ما تعوز زيادة. وكل ما تدّيها زيادة، كل ما تطمع. وكل ما تطمع كل ما تتعمي وماتشوفش حاجة بَرّاها ويتقفل جواك العالم الفسيح الواسع عليك انت بس، على نَفْسَك بس.

ومش مطلوب طبعًا من كل بني آدم انه يمشي الطريق ده كلّه لحد ما يبقى ناسك زاهد متصوف راهب تَعَفّ نَفْسُه عن كل ما لا يحتاجه فعلا، بس أعتقد ان المطلوب هو إنك تدرك حقيقة ان نفسك عدوتك، عدوة إنسانيتك، كل ما تستسلملها كل ما حتاخدك لتحت.

فيه دعاء عبقري عبقري عبقري بيقول:

«اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا» الدعاء ده عبقري عشان مابيبيعش الدنيا، وفي نفس الوقت مابيشتريهاش. بيعترف بما تحتاجه نفسك وتَتُوق إليه من نصيبها في الدنيا، بس بيقرّ إن ده مش أقصى الأمل والطموح، بل هو فقط إرضاء للغريزة والطبيعة. ممكن تبقى أغنى الأغنياء، بس قلبك مش فيما تَمْلُك، وممكن تبقى فقير وغلبان ومسكين، بس مافيش في قلبك غير الدنيا.

ازاي بقه تعمل كده لـ«نفسك»؟ تنكّد عليها، تضايقها، ماتسمعش كلامها، على الأقل مش طول الوقت. إوعى تدّيها حاجة على طول. كل ما تعوز حاجة، أي حاجة.. اتخانق معاها الأول، فاصل، تقولّك عَشْرَة قولّها اتنين، تقولك اتنين قولّها نُصّ.

ويا إنت تكسب، يا إنت تخسر.

النفس تاني

ـ أنـا: أكلّمها؟

ـ ....: هيّ اللي تكلّمك..

ـ أنـا: واحشاني، مش قادر

ـ ....: إنقل بدل ما تقع على بوزك

ـ أنـا: طب أعمل نَفسي بكلّمها أسألها على حاجة؟

ـ ....: طب استنى يا خفيف.. أنا حقولّك تقول إيه.

بعد ماتكلمنا على إن النفس عدو الضمير ماكانش ينفع أبدًا، على الأقل، ماتذكرش ان النفس كمان أقرب أصدقاءك، لان نَفْسك عدو لضميرك؛ مش عشان هي بتحبّ الشر ولا حاجة، أبدا. نَفْسك عدو ضميرك لإنها بتحبّك، عايزة تعملّك كل حاجة؛ عايزاك تنتصر في معاركك، عايزاك تَحصُل على كل اللي انت عايزه، عايزاك تكسب فلوس، عايزة الناس

تحبّك وتحترمك وتُمجّدك لو أمكن.. نَفْسك عايزاك تبقى سعيد.. هي صحيح في محاولاتها لعمل كل ما سبق ممكن تعمل أي حاجة، أي حاجة بغض النظر عن الأخلاق والمبادئ والصح والغلط وغيرهم، بس ماتنساش أبدا انها بتعمل كده عشان بتحبّك. بتحبّك انت بس!! بتحبّك انت ولْيَغمُر الطوفان العالم.

تجري أحداث المشهد التالي في شارع ضيق؛ عربيتين جايين قصاد بعض وماحدّش فيهم عايز يرجع

ـ أنـا: الجدع ده دماغه صغيرة، أنا حَرْجع وخلاص.

ـ أنـا: ترجع إيه؟؟.. إنت مش شايف باصصلك ازاي؟.

ـ أنـا: ما يمكن أنا اللي جاي غلط.

ـ أنـا: مش مهم.. المهم البجاحة اللي هو فيها دي، ماينفعش ترجع، شكلك حَيبقى زي الزفت.

ـ أنـا: حتأخّر كده!!

ـ أنـا: آه صحيح ده إحنا عندنا مشوارين مهمّين.. بقولّك ايه، إرجع وخلاص بس لمّا يعدّي من جنبك، تعالى نقولّه حاجة تحرق دمّه.

نَفْسك اللي بتنرفزك مثلًا لو حد داسلك على طَرَف، عشان ماتبقاش هفيّة.. ونفس نفسك تخلّيك تجري لو حسّت انك

في خطر وحتودّي نفسك في داهية وكمان تقولّك «الجري نص الجدعنة» لَتفتكر نفسك والعياذ بالله جبان.. النفس اللي بتفكّرلك في حيلة تخرّجك بيها من أي مأزق، بأي طريقة؛ نفسك تخلّيك تنافق، تخلّيك تكذب، نفسك ممكن تخلّيك أشرّ شخص عرفته في حياتك. النفس هي اللي ممكن تخلّيك تقتل «ما هو يستاهل يموت ألف مرّة» ونَفْسك ممكن تخلّيك تاخد حق حد وببجاحة متناهية تقنعك إن «عادي يعني ما كله بياخد، هو أنا اللي حغيّر الدنيا!».

ـ إنـت: بقولّك إيه.. إنت تدخل البيت النهارده قالبلها بوزك شبرين، لازم تفهم انها ماينفعش تكلمك كده أبدا.

ـ إنـت: بس ماهي برضُه كانت متضايقة عشان كانت فاكراني مطنّشها!

ـ إنـت: متضايقة!! يا حرااام، لأ ألف سلامة عليها.

ـ إنـت: يا أخي أنا اللي بدأت!.

ـ إنـت: خلّيك أهبل كده لحد ما حتاخد على دماغك.

نفسك اللي بتخليك تغير على حبيبتك، بس هي كمان اللي بتخلّيك تخلّي حبيبتك تحبّك. تغشّشك كلمة حلوة

هنا، بصة حلوة هناك، حركة جدعنة، مروءة، شهامة، نفسك بتعرف تعملّك كل حاجة، حلو ووحش، كلّه.

ـ نَفْسِي: إعزمها عالعشا في حتة غالية بقه

عشان تبان إنك large.

ـ أنـــا: حاضر.

ـ نَفْسِي: بس بقولّك إيه.. خلي بالك لتكون

بتاعة فلوس وطمعانة فيك.

ـ أنـــا: حاضر.

ـ نَفْسِي: بس هي أصلًا النهارده كانت بتبص

للواد ده كده ليه؟! فاكراك مابتشوفش!!

ـ أنـــا: إيه.. أمشي؟؟

ـ نَفْسِي: لأ تمشي إيه.. إستنى لما نتأكد،

إحنا نعملّها فخّ كده ونشوفها

حَتُقَع فيه ولّا لأ. إستنّى انت أنا حنصرّف.

نفسك بتحاول تحافظ عليك وتحفظلك كرامتك وتُبقِي على صورتك حلوة في المراية ومَاعندهاش أي مانع انها تضحك عليك عشان تعمل كده؛ نَفْسك اللي بتقولّك «ما انا

مافيش في إيدي حاجة».. نفسك اللي بتقولّك «ما انا معذور برضُه، مش همّ اللي......

مش هو اللي..........

مش هي اللي.........

مش أنا اللي.........».

تقولّك أي حاجة، تخلقلك أي عذر، أي حجّة، تجيب الغلط على أي حد في الدنيا غيرك، على أهلك وانت صغير، على ظروفك وانت كبير، عالشيطان لو غلِبت وماعرفِتش تعمل إيه، على كوكب الأرض، عالشمس، عالتاريخ، عالدولاب حتّى.. أي حاجة إلّا انت.. إنت قمر، إنت باشا، إنت لو بإيدك ماتعملش كده أبدًا.. أو.. إنت غلبان، إنت مسكين، إنت قليل الحيلة، إنت ضعيف!! وفي الثانية اللي بعدها تخلّيك تحس انّك أقوى رجل في العالم.. تخلّيكي تحسّي انّك أذكى امرأة في التاريخ.

كل راجل في الدنيا بيخون مراته، نفسه أقنعته تمامًا ان مراته مش ست كفاية بالنسباله، وكل ست جوزها خانها متأكدة تمامًا ان جوزها خانها بس لإن عينه فارغة مايملاهاش غير التراب! ماهو لازم يا جماعة حد فيكو يبقى غلطان في حاجة!!..

أبدًا.. ولو حصل انك غلطت، نَفْسك دايمًا جاهزة بألف سبب مقنع جدًا ليه انت غلطت.

نفسك مش بس مايهمّهاش انّك تغلط، دي كمان عايزة ضميرك مايأنّبكش مهما كان الغلط اللي انت عملته. نفسك مريضة بالغرور.. غرورك. نفسك بتحبّك إلى درجة العبادة.

نفسك ألدّ أعداء ضميرك، هي نفس نفسك أحَطّ وأخلص وأوفى أصدقاءك..

يا حبيبتي يا «نفسي»..

الاستسلام

غريبة جدًا كلمة الاستسلام دي، من أكتر الكلمات اللي ليها معاني مختلفة في الدنيا.. الاستسلام في الحرب خيانة، الاستسلام للحق فضيلة، الاستسلام للشيطان رذيلة، الاستسلام لله هو كل الموضوع.

الكلمة أصلًا بصّوا صوتها عامل ازاي: إ س ت س ل اااام.. مزيكا.

الاستسلام أنواع كتير جدًّا، منه الوحش ومنه الكويس. الاستسلام للنّفس على رأس القائمة، نفْسَك عايزة حاجة انت مش قابلها، تقاوح شوية وتقاوم شوية وبعدين «خلاص مش قادر» وتستسلم. وساعات هو نفسه الاستسلام للنفس ده بيبقى حاجة كويسة، لمّا نفْسَك فعلا تبقى محتاجة اللي هي عايزة تعمله ده. فأصلًا مابيبقاش في مصلحتك ولا في مصلحتها انّك تقاوم كتير. بتبان الحكاية دي في حاجات صغيرة أعتقد؛ زي إنك مثلًا تبقى مضغوط ومزنوق وراسك

مليانة ويبقى عندك شغل الصبح بدري ونَفسَك تبقى عايزاك تتفرج على فيلم بتحبّه. عندك في الحالة دي واحد من تلات حلول، أولا: تسمع صوت العقل وتدخل تنام، وده على قد ما هو كويس ليك بس مش كويس لنفسَك لو بتعمل كده على طول. الحل التاني: إنّك تقعد تتفرج على الفيلم بس ضميرك يفضل مأنّبك، ده مش كويس ولا ليك (عشان حتبقى تعبان الصبح) ولا لنفسَك (عشان قعدت تسلّخها وتضايقها وطلّعْت الساعتين بتوع الفيلم على جتتها). الحل التالت بقى هُوَ العبقري، وهو: إنك أولًا ماتعملش كده كل يوم بقه عمّال على بطّال، بس لمّا نفسَك تعوز الفيلم فعلًا، يبقى طظ في النوم، وطظ في التعب بتاع الصبح، وتقعد تتفرج بمزاج وروقان، وتدخل السرير وانت مبسوط و«مِسْتِكَنْيَص».

فيه نوع رائع بقه من أنواع الاستسلام بس عيبه انه ممكن يودّي في ستين داهية؛ الاستسلام للحب، تفضل تكابر كده شوية وتعمل فيها بتاع لحد ما تستسلممممممم. يا عيني على الاستسلام الجميل للحب.. وهو ممكن يوديك في داهية صحيح لكن فداه، مش مهم. المهم انك لو ماستسلمتلوش عمرك ما حتعرف طعمه إيه. استسلم استسلم، استسلمي، استسلموا جميعا.

فيه كمان استسلام العقل لفكرة ما، يفضل رافضها رافضها رافضها، ومش عاجباه ويطلّع فيها القطط الفاطسة وبعدين

يستسلم..... ومن الجدير بالذكر إن النوع ده من الاستسلام لا يقدر عليه إلا أقوى الأقوياء وأحكَم الحكماء.

الاستسلام للقَدَر مش دايمًا حاجة كويسة، لو استسلمت وانت فيه حاجة تقدر تغيّرها تبقى ضعيف أو خَنُوع أو جبان، لو استسلمت للقدر اللي فعلا ماتقدرش تغيّره، تبقى بقيت فيلسوف.

عايز إيه؟

«عايز إيه» ده واحد من أهم المسائل في الدنيا.. عشان الإجابة بتاعته هي الإجابة على كل حاجة تانية..

لما تبص عالعالم النهارده تكتشف على طول ان أغلب سكان الأرض بقوا عايزين حاجة واحدة.. عايزين فلوس. وهيّ الفلوس مش حاجة وحشة ولا حاجة، مش عيب يعني حد يعوز فلوس، ما الفلوس بتعمل طمأنينة وثقة وممكن تخلّي الواحد يعيش مرتاح ومبسوط. بس الموضوع بقه ان الفلوس ماتنفعش هدف، ماتنفعش تبقى الإجابة بتاعة السؤال ده.. «عايز إيه؟».

تعالوا أحاول أشرحلكو وجهة نظري من حتة تانية خالص.. هو مثلًا الأكل وحش؟ الستات وحشين؟.. تخيل انك سألت حد قلتله عايز إيه؟ راح قايلّك عايز أكل، أكل كتيييير، كل يوم وكل ساعة لحد ما أموت. حتحس بإيه تجاه الشخص ده؟ أو واحد تاني يقول «عايز حريييييم، حرييييييم» حتقول

عليه إيه برضُه الشخص ده؟ حتقول عليه حيوان، صح؟ ليه؟ عشان هو كده يبقى حيوان فعلًا. ليه حيوان؟ عشان لو جبت أسد جعان سألته عايز إيه حَيقولك لحمة، ولو جبت نسناس عنده هرمونات ذكورة زيادة وسألته عايز إيه، حَيقولك: نسناسااااااات. بس البني آدم لازم لازم لازم إجابته على سؤال زي ده تبقى مختلفة. أمّال بني آدم ازاي! أمّال التاريخ ده كله إيه والمكانة دي إيه وسيد الأرض ومُعَمِّر الدنيا والوحيد اللي بيختار والوحيد اللي حَيتحاسب، ده كلّه إيه؟؟؟؟

فيه فرق كبير جدًّا بين ان البني آدم يشتغل مثلًا عشان يعمل فلوس أو يشتغل عشان يبقى نافع ومهم ومفيد ويَتحقق كبني آدم، وبعدين يعمل نفس الفلوس ولا حتّى أكتر.

وبعديـــن..

المشكلة مش في الفلوس، المشكلة إن الواحد ممكن الفلوس أو غيرها تخلّيه ينسى، ينسى هو أصلًا عايز إيه؟ هو موجود ليه؟

الحياة بقت عاملة زي السباق وكل واحد عمّال يجري عشان يقف في أول الطابور، لازم تشتغل شغلانة محترمة من امّ بدلة، لازم تاخد شهادات عشان تاخد فلوس أكتر وتقعد في مكتب لوحدك، لازم تتجوزي واحد مش عارف ماله. ازاي كلّنا عايزين نفس الحاجات واحنا أصلًا مختلفين عن بعض؟!

ليه مش مسموح لحد يعوز يبقى فقير ولّا مايحبش الفلوس؟ حد يجاوبني.. ليه؟! ليه كل الناس عايزين يبقوا العيلة بتاعة إعلانات شركات التأمين اللي على كوبري أكتوبر، ليه وازاي أصلًا الحلم السخيف بتاع الأفلام ده شال من سكّته كل الأحلام التانية، الأحلام اللي ممكن تكون بسيطة بس جميلة وحقيقية وبتاعة اصحابها!!!

وتاني، أول الطابور جميل خالص ورائع وبديع بس مش هو كل الموضوع، إحنا مش خيل ولا كلاب سبق. وبعدين كلمة «كفاية أنا كده كويس» دي تفتكروا راحت فين؟ وقعت فين من الناس؟ وقعت في السباق. عشان في السباق مافيش حاجة اسمها تمثيل مشرف، فيه كسبت ولّا حترَوّح بأذيال الخَيبَة؟ بس الدنيا مش كده. تخيلوا لو ابن رشد ونيوتن وأفلاطون وغاندي كانوا بيشتغلوا عشان الفلوس، كان حصل إيه؟ كان زمان الدنيا بقت أوحش من كده بقد إيه؟؟؟

والله العظيم ما لازم تجري أصلًا.. السباق ده احنا اللي عملناه على فكرة، بس احنا مش مخلوقين عشان نجري. ولو حتجري مش لازم ترمي بقه كل الحاجات اللي انت المفروض تبقى ماسكها بل ومُحَافظ عليها.. (ومش ححاول أقول همّ ايه عشان كل واحد لازم يبقى عارف هوّ عنده إيه مايستغناش عنّه).

وبعدين انتو متخيلين بشاعة ان الواحد يموت وهو بيجري

في السباق عشان لقى كل الناس بتجري، ويبص كمان يلاقي إيده فاضية من كل حاجة فعلا مهمة لإنه رماهم كلّهم عشان كان بيجري!!

بصوا بقه ده آخر كلام عندي في الموضوع ده عشان ابقى خلّصت ذمتي.. وفكّروا فيها براحتكو عشرين سنة حتلاقوا الجملة دي هي يمكن أصحّ حاجة اتقالت في الكتاب ده كلّه.

«كل الحاجات المهمة في الدنيا، الفلوس ماتقدرش تشتريها».

بس.

الوقــت

وإحنا صغيرين بيقولولنا «الوقت كالسيف، إن لم تقطعه، قطعك».. وأنا سمعت كلامهم، وطول عمري بشوف إن الوقت عدوّ فعلا ولازم تحاربه وتنتصر عليه، فبقيت مستعجل مثلًا على طول؛ كنت أرجع من المدرسة أقعد أعمل الواجب عشان أخلّصه بسرعة قبل حتّى ما اغيّر هدومي، أبقى ماشي أمدّ، أبقى سايق أجري.. عدوّ بقى!! وبعدين من قريّب كده مش من زمان الحقيقة، بدأت أبص لموضوع الوقت ده بَصّة مختلفة. اكتشفت إن طول ما انت شايف ان الوقت عدو يبقى عمرك ماحتعرف تستمتع بالرحلة اللي احنا ماشيين فيها دي، ما انت بتتخانق معاه على طول، فيه حد بيستمتع وهو بيتخانق!

إوعى تسقط في المدرسة لا تروح منك سنة، إوعى تسقط في الجامعة لتتأخر عالجيش، إوعى تلعب لزمايلك يسبقوك، إوعى تبص حواليك لاحْسَن كده مش حتلحق تتجوز، إتجوز البنت دي بسرعة عشان حتطير من إيدك، بسرعة اتجوز عشان

تستقر فتعرف تبني نفسك، خلّف بقه بسرعة عشان تلحق تلعب مع ابنك، خاوي الإبن بقى بسرعة قبل ما يكبر، خلّيهم يبقوا قريبين من بعض. إلحق اشتري حتة أرض ابني عليها بيت لاحسن الأسعار عمالة تعلا، مش حتلاقي خرم إبرة بعد كام سنة. إلحق قدّم بسرعة للعيال في المدرسة الفلانية لاحسن بياخدوا ٤٠ واحد بس والناس عليها طابور. إلحق بسرعة اشتريلك سهمين في البورصة والأسعار واطية.. إيه القرف ده، هي دي عيشة، عايز أقف شوية انا، أبص حواليّا وأشمّ وأدوق وأفكّر واعرف انا بعمل إيه هنا.

الناس بتتصرف كإن الواحد بيعيش مرتين منهم مرة بروفة! ماهيّ مرة واحدة، لازم أشمّ نَفَسي، لازم ألحق أستمتع بكل اللي أنا بَعمله ده.

ويمكن عشان كل اللي فات ماحدّش عايز يكبر، محدّش عايز يموت عشان ماحدّش لحق يعيش، حتى لو قعد في الدنيا ٨٠ سنة. ٨٠ سنة جَرْي وهو مش واخد باله هو بيجري فين أصلًا. وغالبًا غالبًا بيبقى فاكر نفسه بعد الجري ده كلّه حيوصل حتّة، بس الحقيقة بيوصل حتّة تانية خالص.

وعمومًا يعني أنا شخصيًا بقالي شوية كدة مقَرّرْ آخدها مَشْيْ. ولا حَقَف ولا حَلْعب ولا حَضَيَّع وقت، بس مش حَجْري. وعارف إنّي مش حَندم..

السعادة

أغرب حاجة في مسألة السعادة دي، ان فيه مصادر كتير جدًا للسعادة في الدنيا، ومع ذلك للأسف أغلب البشر مش سعداء.

أغلب البشر مش سعداء لأسباب كتير في رأيي مالهاش علاقة حتّى بظروفهم. أغلب البشر مش سعداء عشان الدنيا النهارده مابتعَلّمش الناس ازاي يَسْعَدوا.

المنطقي مثلًا ان البني آدم يبقى فاهم انه بيتعلم عشان يعرف أكتر ومخه ينوّر فيبقى سعيد. بيشتغل عشان يحس بأهمية نفسه وبقدرته على الإنجاز أو يعمل فلوس ويعيش مستريّح أو الاتنين، فيبقى سعيد. بيحب حد ويتجوزه ويعمل بيت معاه عشان يبقى سعيد. بيخلّف «حتّة» عيل يفرح بيه ويشوف فيه امتداده فيبقى سعيد.

الهدف القريّب، المباشر، المنطقي ده بتاع إن كل حاجة

بتعملها في حياتك بتعملها عشان تَسْعَد بيها، اتغيّر. ولمّا اتغيّر بقى ممكن تشوف واحد بيشتغل ١٨ ساعة في اليوم شغلانة مابيحبهاش أصلًا، بس عايز يعمل فلوس عشان تبسطه، والنتيجة انك تلاقي البني آدم ده على طول بائس وقال إيه هو أصلًا بيشتغلها عشان بيدور عالسعادة!!!

ناس كتير أوي المفروض انهم بيحبوا بعض سواء كانوا متجوزين أو غيره، وقليلين منهم اللي بيعرفوا يسعدوا بعض. أغلب العلاقات مبنية على الخناق والمنافسة والنكد ومين كسب مين في حرب وهمية مش ممكن حد يكسب فيها أبدًا. مع إنهم أصلًا أصلًا بالفطرة وقعوا في الحب عشان يَسْعَدوا!

بيحصل كده وغيره ازاي؟ بإن الواحد يتحبس في التفاصيل وينسى أصل الموضوع. ينسى إن الهدف أصلًا من كل اللي بيعمله انه يَسْعَد، يتبسط. لما ينسى، ممكن أب مايقعدش مع ولاده أبدًا ويشتغل على طول عشان يجيبلهم فلوس تسعدهم! ماهي عمرها ما حتسعدهم؛ ولاد صغيرين مَاعندهمش أب وباختياره، حَيَسْعَدوا ازاي يعني!؟ لما ينسى البني آدم يبقى مافيش كلمة حلوة بتتقال في البيت بين راجل ومراته. أمّال انتو عايشين مع بعض ليه؟ لو مش حتِسْعِدوا بعض ولا حتّى بتحاولوا، قاعدين تعملوا إيه؟

فيه منكو ناس حَيفكّروا ويقولوا، يا عم عسيلي إيه السؤال

ده؟ قاعدين يفكروا في مصروف البيت وعايزين يربّوا العيال. ماهي العيال مابتترباش، دول بيتعلفوا بس، والبيت ده مش بيت، البيت اللي الناس ناسيين هم هنا بيعملوا إيه أصلًا يبقى بيت ازاي! البيت اللي مافيهوش حبّ إيه اللي بَيّتُه؟!

طب انتو مابتشوفوش ناس شكلهم متدينين أوي وقريبين من ربنا وصلاة وصوم وتقوى وتلاقيهم على طول بوزهم شبرين، وشايلين الدنيا فوق راسهم ويتنرفزوا ويتشالوا ويتحطوا على أتفه الأسباب؟! امّال بتحب ربنا ومؤمن بيه وعمّال تتعبد ازاي طيب! ده الإيمان معمول في نَفْس البني آدم عشان يطمّنه ويهدّيه ويسعده.

المقصود يعني إن النظرية اللي انا مصدقها جدًا، هي إنك لو مش سعيد تبقى حمار، بغض النظر عن التفاصيل، أيا كان اللي انت بتعمله أو مابتعمَلوش. كل واحد فينا وفي الدنيا كلها، لازم يفتكر طول الوقت إن هدفه الأسمى بعد رضا ربّه عنه انه يبقى سعيد. لو مش سعيد يبقى بيعمل حاجة غلط أو بيعمل كل حاجة غلط. سر سعادتنا جوّانا مش بره، لإن إنت اللي بتقرر تشوف إيه وماتشوفش إيه، إنت اللي بتتحكم في عقلك بيشوف إيه وبيفسّر اللي بيشوفه ازاي. إحنا اللي بنقرر من جوه أنفسنا، نَسعد ونَرضى ولّا نَشقى ونَتعس.

حتى ربنا لما خلق البني آدم رحمةً بيه، خلاه لو كَلْ أكلة حلوة بس يبقى سعيد، حتى لو الأكلة دي عبارة عن طبق فول

محبّش برغيفين بلدي سخنين. خلاه لو حد قال له كلمة حلوة يبقى سعيد، لو مسك إيد حبيبته يبقى سعيد، لو شم ريحة حلوة يبقى سعيد، لو شاف فيلم حلو يبقى سعيد، لو سمع حتّة مزيكا حلوة يبقى سعيد، لو سمع نكتة وضحك عليها يبقى سعيد. سعادة كلها لحظية آه بس سعادة. ومين قال إن السعادة انك تمشي وضحكتك ملء شدقيك طول عمرك! ما ده مستحيل. ما ممكن كلمة السعادة الكبيرة دي تكون عبارة عن شوية سعادات صغيّرة، والأهم عبارة عن وجهة نظر أصلًا بتاعة واحد عايز يبقى سعيد بحياته... بغض النظر عن التفاصيل.

وأنا طبعا ماعنديش وصفة سحرية أقولهالكو، تعملوها فتبقوا سعدا على طول. أنا كنت شايف ان اللي عليّا اني اقولّكو حاجة مختلفة عن إن السعادة والهنا في الرضا وراحة الضمير والبال!!

المسرح

«وما الدنيا إلا مسرح كبير».

العظيم سابق عصره وأوانه صاحب الموهبة اللي ماشافتش البشرية تاني زيّها.. شكسبير.. قال كده.

الكلمة دي نوّرتلي لمبة في راسي من فترة ومن ساعتها كل ما الدنيا تضلّم انوّرها، فالدنيا تنوّر.

البشر بيتدربوا على إنهم بيحاولوا دايما يبقوا سعدا، متفقين إحنا عالحكاية دي. صحيح ممكن السعادة تيجي بالطرق المشروعة اللي كل الناس عارفاها. ترْضَى عن نفسك، تحب وتِتْحب، تنجح، تِتْحَقّق إلخ إلخ. بس فكرة المسرح دي بقه بتضيف إضافة مهمة جدًّا للمسألة ألا وهي:

تخيّلوا معايا كدة لو البني آدم شاف نفسه على إنه ممثل، ممثل في المسرح الكبير. ومش ممثل بس، صحيح مش هو

اللي بيحدد اسم الشخصية وظروفها، بس هوّ عنده القدرة على تغيير الأحداث واللعب في النص المسرحي.

ومش في دوره هـو بس، ده كمـان ممكن يغيّر حاجات في أدوار الممثليـن التانيين (اللي بيشتركوا معاه في المشاهد أو حتى اللي مشاهده بتأثر في مشاهدهم من بعيد لبعيد).

لو أنا شفت نفسي على إني ممثل في المسرح الكبير، وحياتي هي دوري حَفْهم بقه شوية حاجات مهمة.

أولا: إني مش لازم أبقى البطل، فيه مشاهد حَبْقَى بطلها وفيه مشاهد حَبْقَى سنّيد، عادي مافيهاش حاجة.

ثانيًا: إني ممكن ما ابقاش بطل خالص، عادي برضُه. الدنيا «قصدي المسرح»، دايما فيه عدد الأبطال أقل من الممثلين.

ثالثًا: إني حتى لو ماكنتش البطل، لازم أعمل دوري كويس، لإني لو ماعملتوش كويس حَيبوظ، ولو باظ حَبْقَى انا ممثل وحش. فأهميتي بتيجي مش من حجم دوري، بل من المجهود اللي بذلته فيه وبالتالي من جودة أدائي.

رابعًا: ممكن المسرحية كلها تبقى وحشة جدًّا، وانا لوحدي كويّس، سواءً دوري كبير أو صغير. وحَيطلعوا الناس من المسرح يقولوا: المسرحية تقرف بس الممثل الفلاني (اللي هو أنا) كان رائع. فصحيح دوري بيتأثر ببقية الممثلين بس لو أنا عملت كويس، مجهودي مش حَيروح عالفاضي أبدا.

العالم دلوقتي (ويمكن أصلًا طول عمره، بس دلوقتي بقى باين عليه أكتر)، لإنه عالم مادّي وتنافسي، عمال يزق الناس انهم يكسبوا! لازم تبقى الأول، لازم تبقى البطل، لازم تسبق، لازم تلحق.. يا إمّا حتعيش صغيّر وحتبقى صرصار وحَيدوسوا عليك! وهي الحكاية أصلًا مش خناقة، الحكاية: مسرحٌ كبير.

في المسرح فيه ممثلين بيلعبوا أدوار صغيّرة وممثلين بيلعبوا أدوار كبيرة، والممثل ده والممثل ده لازم الاتنين يشتغلوا كويس والألزم ان الاتنين يقوا بيحبّوا الدور اللي بيلعبوه، ومستمتعين بيه، ومبسوطين ان عندهم دور يلعبوه أصلًا.

أنا قصدي انك مش لازم تطلع الأول، ومش لازم تبقى أشطر واحد، ومش لازم تبقى شاطر أصلًا، ومش لازم حتّى تنجح أساسا. لازم لازم تبقى نفسك. لازم لازم تبقى كويس. لازم لازم تبقى شَريف. بس مش لازم تبقى بطل! فيه حد موهوب أكتر مِنّي يبقى هو البطل، فيه حد حظّه أحسن مِنّي يبقى هو البطل، حد ربنا عايزه يبقى البطل يبقى هو البطل، حد عرف ازاي يبقى البطل يبقى هو البطل. مش لازم كلنا نبقى أبطال وأغنيا وناجحين بس لازم نمثّل، لازم كل واحد فينا يلعب دوره، ولازم يلعَبُه كويس.

ولازم كمان دايما نفتكر ان فيه متاعب بقه لكل دور، برضُه

بغض النظر عن حجمه. الدور ده لازم الممثل بتاعه يلبس تاج كبير تقيل على راسه طول المسرحية، بيلعب دور ملك، لازم يلبسه (حتى لو مابيتكلّمش ولا كلمة طول المسرحية). والدور ده لازم صاحبه يزعّق طول المسرحية لحد ما صوته كل يوم يتبح. وده شايل حاجة وده لابس هدوم بتحرر في الحر ودي لابسة حاجة عريانة في البرد. كل واحد عنده حاجة بتتعبُه، بس بيحب المسرح. لازم يحب المسرح وإلّا حيرُوح ازاي كل يوم يمثّل بس؟! لازم يمثّل لإنه بيحب التمثيل، لازم يمثّل لإن ماعندوش اختيارات تانية، لازم يمثل لإنه ممثل.

يقولوا علينا إيه؟!

لو أنا سايق في الشارع وكسرت مثلًا عالعربية اللي جنبي والراجل اللي سايق العربية دي راح قايلّي «يا حيوان» فأنا بقه رحت شاتمه انا كمان، أو لو اقدر انزل اضربه حنزل أضربه، ازاي يشتمني؟!.. آلاف بل يمكن ملايين الخناقات بتقوم كل يوم في كل حتة في الدنيا بسبب حاجة بالتفاهة دي ويمكن حتى أتفه. وانا كمان طبعًا لو حدّ شتمني في الشارع ده بالظبط اللي حعمله، بس مؤخرًا بقه بدأت أحس بتفاهة رد الفعل ده.

ليه رد الفعل ده تافه؟ عشان انا فاهم كويس ان الراجل ده مايعرفنيش أصلًا، وفاهم إن الموضوع مش شخصي على الإطلاق، الراجل كان بيشتم الشخص اللي كسر عليه، كان بيشتم في الحقيقة الفعل أصلًا مش الشخص، هو مايعرفش الشخص. بس نَفْسك بقه تروح داخلة قايلالك «ازاي يشتمك؟ كرامتك.. ده انت كده تبقى مُهزأ.. ده انت كده تبقى مش راجل».. وتسمع انت كلام نَفْسك وتنزل تتخانق وحتى لو

الموضوع ماوصلش لمرحلة الخناقة، يرضُه حتفضل انت متنرفز وعمال بتْشال وبتْحط في مكانك وانت سايق. مع إنك لو فكّرت بعقلانية في الحكاية حتكتشف انك مستحيل تخسر أي حاجة لو حد شتمك وهو مايعرفكش، حد عمرك ماحتشوفه تاني في حياتك، حد كان معدّي جنبك في الشارع!

انا ليه مش ممكن اسمح لحد انه يسرق فلوسي مثلًا ولّا بيتي ولّا عربيتي؟ عشان بَبقى في الحالة دي بَدافع عن ممتلكاتي. لو حد جه يضربني حَبقى بَدافع عن نفسي. لو حد حتّى دخل عليّا في مكتبي يشتمني حبقى انا بَدافع ساعتها عن الاعتداء اللي مع سبق الإصرار والترصّد اللي عمله الشخص ده تجاهي. كل ده مفهوم، صح؟ نرجع لمرجوعنا بقه، الراجل اللي شتمني في الشارع وهو مايعرفنيش ده، لمّا أتخانق معاه، يبقى بَدَافع عن إيه ساعتها؟!

اللي بفكّر فيه دلوقتي هو ان مافيش أي حاجة ممكن أدافع عنها في اللحظة دي غير صورتي في ذهن الراجل اللي مايعرفنيش ده حتبقى عاملة ازاي، لو ماردّيتش عليه حيقول عليّا مُهزّأ.. طب مش دي حاجة غريبة!! مايقول عليّا اللي هو عايزه، تفرق معايا في إيه أنا؟ وجع الكرامة اللي انا نفسي بتسولّي انه حصل في الحالة دي جاي منين؟؟.. ازاي ابقى بالسذاجة دي، ازاي كلّنا نبقى بالسذاجة دي!

فكّر في الضرر الحقيقي اللي وقع عليك لو حد معدّي في

الشارع شتمك.. ولا حاجة، ولا حصلّك أي حاجة. الكرامة اللي بتوجعك دي إنت اللي بتعلّمها انها توجعك من حاجة تافهة زي دي، بس الوجع مش حقيقي على الإطلاق، بل مافيش وجع أصلًا.

وطبعًا مش الشتيمة بس هي اللي بتثير المسألة دي، حياة كل البشر خصوصًا في الحتة دي من كوكب الأرض مليانة تفاصيل كتير جدًّا بيعملوها أو مايعملوهاش عشان قلقانين على شكلهم قدام الناس (كرامتك، منظرك، برستيجك.. إلخ إلخ إلخ).

كام واحد بيمثّل ان معاه فلوس أكتر ما معاه فعلًا؟.. كام واحد بيمثّل انه ارستقراطي وشيك وهو جربوع.. كام واحد بيمثّل الشجاعة وهو جبان.. كام واحد بيدّعي الحكمة والمعرفة وهو لا يفقه في شئون الدنيا شيء.. وغيره وغيره والقاعدة دايمًا حاجة واحدة، إن الناس تفتكر إن أنا مش عارف إيه. طب ما انت نَفسك عارف نَفسك، ازاي ممكن نظرة الناس ليك تصلّح صورتك في المراية!! بتضحك على مين!

لو انا قدّام المراية بني آدم مش كويس بالمعنى الواسع المرحرح للكلمة، وكل العالم قال عليّا كلام حلو، يبقى لازمته بالنسبالي انا إيه؟ ولا حاجة. إبقى بَقى زي ما انت، حتبقى انت مرتاح لإنك حاسس انّك مش مستخبّي، واللي حواليك حيبقوا مرتاحين عشان حاسّين انهم فاهمينك، والأهم

كمان إن عيوبك تطلع بقه وتبان كدة يمكن تعوز تصلّح فيها حاجة يا أخي..

المجهود اللي بيبذلوه الناس في تخبية عيوبهم أو التنكّر من أنفسهم أو ادّعاء أي كذبة هو غالبًا مجهود أقل من اللي محتاجين يبذلوه عشان يبقوا فعلا بني آدمين أحسن ماعندهمش حاجة يستخبّوا منها ولا يخبّوها.

بس..

كل حاجة صعبة؟..

كلّ حاجة.. إنك تفتح موضوع جديد كده وتكتب عنوان وتدوّر على كلام (تعتقد ان له لازمة تقوله) حاجة صعبة. إنك تتعلّم كويس حاجة صعبة. إنك تبقى شاطر في اللي انت بتعمله حاجة صعبة. إنك أصلًا تعرف انت المفروض تعمل إيه في الدنيا، تشتغل إيه وتعيش ازاي وتعمل إيه ومانعملش إيه. إنك تحب الناس وتسامح مع أخطاءهم. إنك تعرف عيوبك وتشتغل عليها عشان تحاول تصلّحها. إنك تعترف بأخطائك وتتحمل مسئوليتها حاجة صعبة. إنك تخطط للمستقبل حاجة صعبة. إنك يبقى عندك مبادئ وقوة كفاية انك تدافع عنها حاجة صعبة.

حتى انك تخلّي بالك من أكلك وتلعب رياضة عشان ماتتخنش وتحافظ على صحتك حاجة صعبة. إن البنت أو الست تحافظ على جمالها حاجة صعبة. إنك تغسل سنانك

كويس زي ما الدكتور بيقول عشان ماتسوّشش أبدا حاجة صعبة!!

إنك تعرف حاجة صعبة.. إنك توسع دماغك وتتعلم وتقرا وتفكر عشان تلاقي مكانك في الدنيا حاجة صعبة.

إنك تهتم حاجة صعبة؛ تهتم بالناس اللي حواليك، تهتم بالصح والغلط، تهتم بكوكب الأرض، تهتم بالمستقبل، تهتم بنفسك، تهتم بعمرك، تهتم بمصيرك، تهتم بضميرك.. كلها حاجات صعبة.

من ساعة ما بدأت أفكّر في الموضوع ده بقه وانا بَحاول ألاقي أصعب حاجة خالص. مش في المطلق طبعًا عشان مافيش حاجة في المطلق، الناس مش زيّ بعض ولا ظروفهم زيّ بعض. بس في اللحظة دي كده، بيبدو لي ان أصعب حاجة هي إنك تغيّر اللي انت شايفه مش صح.. إنك تدوّر في الدنيا الواسعة دي كلها وفي الناس الكتير دول على إيه اللي تقدر تغيّره للأحسن وتغيّره. ومش على طول كده طبعًا، فيه الأول انّك تعرف إيه اللي محتاج يتغيّر، وانك تعرف ازاي تغيّره وتجرّب وماتعرفش وتجرّب تاني وماتعرفش تاني وتفضل تجرّب وتجرّب لحد ماتموت.

فيه ناس كتير غيّروا الدنيا كلها، جراهام بلّ لمّا عمل التليفون غيّر الدنيا. «فليمنج» لمّا اكتشف البنيسلّين غيّر الدنيا. بس الميزة الكبيرة بقه انك مش لازم تعمل حاجة

بالحجم ده عشان تغيّر الدنيا!. مش لازم تبقى سقراط وتبقى أول واحد في التاريخ المكتوب يسأل يعني إيه عدالة فيعمل تغيير. مش شرط تحارب عشان الحرية والمساواة، مش شرط تبقى غاندي ولا مانديلا ولا مالكولم إكس ولا جيفارا عشان تعمل تغيير.

مش لازم تغيّر كل الدنيا عشان تعمل تغيير. ممكن تغيّر حتّة بس.. حتّة صغيرة على قدّك بس. تعلّم أي حد أي حاجة تبقى غيّرت الدنيا. تتكلم مع واحد صاحبك متضايق ومكتئب ويقوم من القعدة دي وهو عنده أمل ومفرفش، بس كده، تبقى غيّرت الدنيا. تبقى لطيف مع حد فتخلّيه يبقى لطيف مع حد وهلمّ جرا تبقى غيّرت الدنيا. تشيل ورقة مرمية عالأرض تبقى غيّرت الدنيا، عشان من غيرك الدنيا كان فيها ورقة مرمية وبيك مابقاش فيها ورقة مرمية، يبقى انت غيّرت الدنيا.

الناس الكتير أوي اللي ذُكِر بعضهم فوق دول، قدرهم كان انهم يقدروا على تغيير كبير الحجم والأثر، بس مش كل الناس كده، ولا مطلوب أصلًا من كل الناس كده. مطلوب زي ما العبقري الزاهد، النحيل من الجوع، محب السلام وصانعه غاندي قال

«Be the Change You Want to See in the World»

(كون التغيير اللي عايز تشوفه في العالم).

بس كده.. شفتوا المفاجأة!! يعني كل حاجة صعبة اتفقنا، وأصعب حاجة في الحاجات الصعبة التغيير اتفقنا برضه، وبعدين طلع التغيير مش صعب ولا حاجة! طلع كل اللي محتاجه ناس فعلاً عايزة تغيّر، وهم خيعرفوا يعملوا إيه.

مش مهم كل حاجة على فكرة... المهم انت..

دي فكرة كده بتاعة إنه.. في الحقيقة في الحقيقة بقه كل واحد فينا الكون بتاعه جوه راسه. «الكون بحاله جوه عقل البشر» كما وضعها صلاح جاهين (ولو انه كان بيتكلّم في الرباعية دي عن حاجة مختلفة). الطريقة اللي بَشوف بيها العالم هيّ اللي بتحدد العالم عامل ازاي (بالنسبالي بس طبعًا) بس ما هو كل حاجة لو مش بالنسبالي يبقى تفرق معايا انا إيه!. يعني ممكن العالم يبقى سعيد سعيد سعيد بس أنا شايفه كئيب، يبقى هو كئيب. ممكن العالم يبقى كئيب ومحبط وسخيف بس أنا شايفه حلو يبقى هو حلو.. العالم بتاعي يبقى حلو.

وتُدرك المسألة دي بسهولة أكتر لما تفكر مثلاً في الأمراض النفسية والعقلية. بني آدم بيبقى عادي عايش حياته زي بقية الناس. وزي بقية الناس الكون كلّه بكل تفاصيله هُوَ الكون كما يراه، وعنده معتقدات وعنده حاجات

مصدّقها وحاجات مش فاهمها وحاجات بيحبّها وحاجات بيكرهها وحاجات بيفكّر فيها وموضوع بعني.. بني آدم.. وبعدين تحصل حاجة بس غلط في حتة صغيرة قد الفتفوتة في مخه؛ إنزيم يُفرز زيادة، إنزيم يُفرز ناقص، كهربا تزيد، كهربا تقل، شريان رفيع وتاااااافه يتسدّ وممكن كل اللي فات ده يتغير أو يختفي أصلًا.

فكرة مرعبة طبعًا، كل اللي في راسك من أفكار ومعتقدات ووجهات نظر ومشاعر حتى. نظرتك للكون كلّه بكل ما فيه هي حاجة ماتعرفش تمسكها، ماتعرفش تلمسها، ماتعرفش تحافظ عليها.

ولمّا البني آدم يفهم إن الكون كله في راسه فيفهم انه قادر يحوّل الدنيا للي هو شايفه. يبدأ يتحكم في الدنيا فعلًا. لو انا شايف ان الحياة بمبي يبقى الحياة بمبي.

لازم البني آدم يتعلّم ازاي يحافظ على نفسه من الكآبة والتوتر والإحباط مهما كان اللي بيعاني منّه. لازم تحافظ على نفسك لأن نفسك هي كل ما تملك. نفسك هيّ عالَمك..

مهما كان قبح العالم ممكن الواحد يدوّر فيه على الجمال والحقيقة والحق والخير، ويقدر بالرغم من قبحه، إنه يعيش فيه سعيد. ممكن بالرغم من كآبة الواقع أحيانًا، وبالرغم من القلوب المكسورة والنفوس الوحدانية والفقر والهمّ والوجع،

يقدر البني آدم يتشعبط في حتة أمل حلوة وشوية صبر جميل وحبّتين رغبة في الحياة وحب ليها.. لأنها حياته.

أكيد ممكن.. بقاء العالم بعد كل اللي حصل فيه من شرّ أكبر دليل على انه ممكن.

كن جميلًا.. ترَ الوجود جميلًا.

إيليا أبو ماضي

الصبر

مش عارف هم مين بالظبط، بس بيحاولوا دايما يعلّمونا من واحنا صغيّرين ان الصبر مفتاح الفرج، وده مش غلط أوي يعني، بس الموضوع بيتهيألي أعقد من كده بكتير.. ليه بقه؟ عشان الكلام ده سهل جدًّا لمّا تكون مستنّي الأتوبيس مثلًا، مستنّية جوزك يرجع بعد كام شهر من السفر. مستنّي تخلّص السنة اللي فاضلالك في الكلّية عشان تتجوز البنت اللي بتحبّها، الحاجات اللي من النوع ده. لكن مشكلة كلمة «الصبر مفتاح الفرج»، ان افرض ماحصلش؟!.. إفرض أنا عندي مصيبة، مشكلة، أزمة وفضلت اصبر اصبر اصبر ومافيش فرج بييجي!!! يبقى فين المفتاح بتاعي!؟

فكّروا مثلًا في بنت حتموت وتتجوز. ومافيش جواز بيحصل وكل سنة بتكبر وبتقلّ فرصها و«كل شيء نصيب يا بنتي» و«ربنا اللي يعرف الخير فين» ومافيش حاجة تتعمل، فيبقى الحل إيه؟ الصبر فعلًا، بس مش الصبر اللي احنا بنرغي

عنه عشان فاهمينه كويس ده. مش الصبر لحد ما تنسى ولا لحد ما المشكلة تعدّي والأزمة تفك؛ صبر من نوع مختلف شوية.

اللي بيجيله سرطان مثلاً عافانا وعافاكم الله، ويكتشفه في مرحلة متأخرة والموضوع باظ خلاص يعني. ألم بقى وخوف وموت جاي في الطريق وحاجات كلها أصعب من بعض، مايفعش بقه تدخل عالراجل ده تقوله «هانت»!، مايفعش تدخل تقوله «معلش» ومايفعش تقوله الصبر مفتاح الفرج ويقعد هو يستنى يموت.. بس برضه ينفع يصبر. ينفع يصبر بإنه يسلّم بإرادة ربنا اللي خلاص مايقدرش يغيّرها، ينفع يصبر بشجاعة «هي موتة ولا أكتر»، ينفع يصبر يحب للحياة حتى وهو عارف انه مش باقي فيها، ولربنا حتى وقضاؤه ممكن يكون صعب وشاق ومؤلم.

الصبر اللي بجد مش انك تستنى، تستنى ده اسمه تستنى مش صبر. طب تستنى وانت مش قلقان ولا متضايق انك مستنى؟.. ممكن يكون هو ده بس سمعناها كتير يعني. اللي أعتقد بقى اننا ماسمعناهاش كتير هي إن الصبر ده مش انك تبقى مستنى خالص. إنك تبقى شايف اللي انت صابر عليه ده على إنه حتة منك، جزء من حياتك، فصل من فصول قصتك. قصص البني آدمين على الأرض مش قصص أطفال كلها بتنتهي نهايات سعيدة، فيه مآسي كتير في الدنيا وكل واحد

فينا ممكن للأسف يبقى بطل قصة مأساوية في لمح البصر، مش صعبة خالص، المصايب مش بتحصل للناس اللي في الجرنال بس!

فلو جت المصيبة أصبر عليها.. أصبر عليها بإنك تعيشها وتشربها وتمتصها وتشبع منها.. أصبر عليها بس اوعى تستناها تخلص.. أصبر عليها عشان بتحبها زي ما المفروض تحب نفسك.. مصيبتك زي فرحك.. مصيبتك منك.. بتاعتك.. ماتستناهاش تخلص، ولا هي ولا غيرها.. ماتستناش حاجة. اللي تقدر تغيّره غيّره بس اللي ماتقدرش تغيّره تعيشه.

الصبر مش مفتاح الفرج.. الصبر مفتاح البني آدم..

الدعـــا

زمان كنت عادي يعني بَعمل زي ما أغلب الناس بيعملوا.. عايز حاجة مَا اعرَفش أعملها لنفسي ولا أطلبها من حد.. أروح سائل ربنا.. أدعيه.. يا رب خلّي أبويا يرضى يجيبلي كلب، أنا ماذاكرتش كويس بس يا رب أنجح السنة دي، يا رب خلّي فلانة تحبّني، يا رب هاتلي الشغلانة دي، يا رب أسافر السفرية دي، يا رب عايز عربية، وهكذا.

ودُعا دُعا، ساعات بيحصل بعده اللي كان نفسي فيه وساعات لأ.. ومش عارف حتّ مين أكتر من مين..

مشيت كده في الدنيا وبسمع الناس بيرددوا حديث نبوي عن إن الدعاء لُبّ العبادة والموضوع بالنسبالي كمان منطقي جدًا ومش شايف مشكلة يعني. الدعاء لُب العبادة، عشان في الدعاء اعتراف بقدرة الله وتسليم بأنّه وحده القادر انه يعملّك هذا الأمر أو ذاك.. مفهوم.. وبعدين من حوالي تلات سنين كده فجأة فهمت حقيقة بسيطة جدًا. إن انا ماعنديش أي

فكرة إيه كويس فعلاً بالنسبالي وإيه لأ.. واسترجعت ذكرياتي السابقة كلّها القيتني مثلاً كنت بقعد ادعي عشان حاجة تحصل وبعدين لو حصلت فعلاً ممكن اكتشف انها ماكانتش اللي أنا عايزه!.. أو ادعي عشان حاجة تحصل، ماتحصلش ويحصل مكانها حاجة أحلى منها بكتير بس انا ماكنتش اعرفها. أدعي عشان حاجة ماتحصلش، تحصل. واكتشف بعد شوية ان مافيش أحسن من كده... قلت لأ بقه، هو انت ايه مابتتعلّمش؟. وقررت اني عمري في حياتي ما حَطلب من ربنا طلب بعينه أبداً. حَدْعيه يعملّي اللي هو شايفه خير، ويمنع عنّي الشرور إن شاء، ويهديني إلى الصواب، ويقيني شر نفسي وشرور خلقه، ويغفرلي ذنوبي وبس.

ولو كان الدعاء هو لبّ العبادة، فكل دعاء من جنس ما ذكرت حَفضل ادعيه آلاف المرّات... ونجحت على فكرة ووفيت بالوعد اللي قطعته على نفسي، ومن ذاك اليوم لم أطلب طلب واحد محدد من ربنا الكريم مع إنه الكريم. اعترفت بقه بجدّ اني مَا اعرَفش حاجة خالص وهو سبحانه اللي يعرف.. ومن ساعتها والدُّعا أجمل وأسهل وأريَح بكتير.

الحب

الحب ده أصلاً أساساً يعني هو كل الموضوع. الحب هو إجابة كل الأسئلة.

أولاً في البدء خالص، ربنا خلقنا بحُب.

حَبّ آدم وحوا وأسكنهم الجنة. ولما غلطوا سامحهم، واختارلهم الأرض الجميلة اللي احنا عايشين عليها دي عشان يعيشوا فيها ويعمّروها.

أكيد كان بيحبّنا لما خلاّنا أسياد هذه الأرض. وأكيد كان بيحبّنا لما خلاّنا نقدر نفكّر ونقدر نحس ونقدر نفرح ونقدر نضحك ونقدر نغنّي ونلعب مزيكا ونرسم ونلوّن. أكيد كان بيحبّنا لما خلقلنا ذاكرة عشان نفتكر، فما يفاش كل ده بيروح في الفاضي، وعشان نتعلم منه ونكمّل عليه.

أكيد كان بيحبّنا لما خلقلنا كل الجمال ده. أكيد كان بيحبّنا لما عملّنا الفاكهة دي كلها مثلاً.. مثلاً يعني، عملّنا فاكهة

مليانة فيتامينات ومضادّات أكسدة وخلّاها حلوة ومسكّرة عشان الناس تحبها وتاكلها فتستفيد منها! واللي مابيحبش الحاجات المسكرة عملّه حاجات مِزِزة!! فيه كده؟!

ربنا يا جماعة عملّنا صمغ بيطلّع من الشجر! ولبان، وعسل، ولبن، وصوف عشان البرد، وقطن عشان الحر.

وهو سبحانه وتعالى بيخلقنا كان كل الموضوع عن الحب.

سيبك من الخلق بقه وادخل في اللي بعده، هو مش بعده أوي يعني، هو في الخلق برضه بس في مراحل لاحقة. ربنا خلّى كل الكائنات وهي صغيرة ضعيفة وغلبانة ومش فاهمة حاجة عشان كل أم تحب ولادها. وفي البني آدمين أكتر من أي كائن تاني عشان كل أب كمان يحب ولاده. خلّى البني آدم أصلا أصلا بيتخلق من فعل حميمي دافي كله حب. وخلّى البني آدم كل ما يحِبّ، كل ما يبقى أرقى، ومش بس أرقى لأ كمان أسعد. وكل ما يكره يِسْوَدّ ويِتْعس. خَلّى البني آدم لو ماتْحَبّش يمرض ويعيا ويدبل. ومش قصدي الحب اللي هوّ هوّ، قصدي أي حب. لازم حب وخلاص.

لو ماحبّتش ربنا مش حتعرف تعبده كما ينبغي. لو ماحبّتش الناس مش حتعرف أبدًا تبقى سعيد. لو ماحبّتش حد حتفضل دايمًا ناقص.

وتكتشف بسهولة ان كل الشر اللي في الدنيا لو فيه حب ماكانش حَيلقاله مكان. لو حَبّوا الناس الوطن، حَيِسْعَدْ ويِنْعَم الوطن. لو حَبّوا الناس الناس، مافيش حرب ومافيش ذل ومافيش ظلم ومافيش طغاة. لو حَبّوا الناس الأرض، كانت فضلت كلها جميلة. لو حَبّوا الناس الإله، كانوا بقوا بني آدمين أفضل كثيرا.

خُلِقَ هذا العالم من الحب.. وفقط الحب، يُبْقيه حيًّا.

إللي هوَ هوَ

أقصد الحب اللي هُوَ هُوَ، إللي بيوجع القلب ويسهّر ويبهدل الناس ده. بتاع التنهيد وعبد الحليم وام كلثوم ده. بتاع أول ما تشوف حبيتك يحصلّك حاجة كده في روحك ماتعرفش توصفها ده. الحب اللي بيعض قلبك ويقطم منه حتة وماتعرفش ترجّعها تاني أبدًا ده.

رائع الحب.. حتى شقاء الحب جميل، العين وهي بتأبى أن يَغمضلها جفن عشان بتحب، اللهفة والوَحشان والرغبة شقاء، ومع إنه شقاء بيدوّر عليه البني آدم بل بيجري وراه. مش عشان البني آدم غبي وعايز يَشقى، بل عشان البني آدم فطرته ذكية وفاهمة كويس ان مافيش حاجة ممكن تسعده زي الحب.

ممكن تبقى شايل هموم الدنيا وكل الدنيا تسمعك لو عايز تحكي، بس لو اللي بيسمع حبيب، يبقى يَموت العالم ويَبقى حبيبي.. تبقى فرحان فرحة شاقّة قلبك، بس لو مافرحتش مع حبيب، مايكملش الفرحة أبدًا.

ممكن تكون أكبر نعمة أنعمها ربنا على البني آدم.. هي تلك القدرة على الحب. تعالوا ندخل في الجد بقه.. ما الحب ده موضوع بجد برضه.. أكتر حاجة بتُعقِّد الحب اللي هوّ هوّ في رأيي هي ارتباطه بالرغبة.. ماحدّش يقدر أبدًا يرسم الخط الفاصل بين الاتنين، غالبًا عشان ربّنا خلقهم كدة مربوطين ببعض. وارتباط الحب بالرغبة هو السبب مثلًا في إن الشعور الجميل ده تحوّل في شرقنا الحبيب إلى بُعبُع مخيف. وهيّ مسألة محيّرة برضه: يعني جميل الحب فالناس كلّها تقعد تحب زي ماهي عايزة والحب زي ما اتّفقنا مربوط بالرغبة فتتحول المسألة إلى بزرميط؟.. ولّا نفضل نُقْهَره كدة ونُحَرِّمه زي ما بنعمل فيه بقالنا سنين طويلة؟.. في رأيي أنا ولا ده ولا ده، فيه حلول في النّص وهيّ دائمًا أفضل الحلول. ولا بزرميط.. ولا الحب حرااام، ولو مسكتي إيد ولد حتحرقي في النااار، ولا أي حاجة من جو أمّنا الغولة ده. وما اعتقدش إن فيه وَسَط صريح وواضح للمسألة؛ يعني عشان ده موضوع مرتبط بالبيئة الاجتماعية وطريقة التربية والعادات المختلفة، بس عمومًا يعني دي ماهي إلّا دعوة للاعتدال والنظر للأمور بموضوعية بعيدًا عن الشعارات والكلام اللي بنردده ورا بعض من غير تفكير.. بس في الأصل.

الحب بُعبُع؟ لأ مش بُعبُع.

الكلام عن الحب بره الجواز حيبقى ملغّم بالمخاطر في

أذهان كتير ممّن يقرأون هذه السطور.. فخلّونا نكمّل كلام عن الحب الشرعي، اللي هو يعني بتنطبق عليه نفس قواعد الحب اللي مش شرعي بس ماشي!

في الثقافة الشعبية المصرية لإنها حادة الذكاء.. الست تقول على جوزها «راجلي» والست اسمها «الست بتاعتي». بصوا الكلمتين عاملين ازاي.. مش معقولة الحلاوة. بس المشكلة بقه في فهم الكلمتين دول واستيعاب معناهم. أعتقد ان أغلب الستات بيفتكروا ان راجلي دي يعني اراقبه وافتّش محفظته وابص في تليفونه واتكّد عليه لمّا يخرج مع اصحابه إلخ إلخ.. وأغلب الرجالة بيفتكروا ان الست بتاعتي دي يعني اعاملها معاملة شوية شبه الحيوان الأليف؛ ماتُخرجش لوحدها، ماتروحش ولا تيجي من غيري، ماحدّش يبصّلها، وماتعرفش فلانة ولا علّانة، وازعّق فيها كل شوية عشان ماتنساش اني بعرف أزعّق... إلخ إلخ برضه. كل اللي فات ده طبعًا مفهوم انه ولا بيدُل على الرجولة ولا الأنوثة ولا الحب، بل بيدُل على حب السيطرة والتملُّك وضعف الثقة في النفس وعدم الشعور بالأمان وشوية حاجات تانية كلّهم بايخين زي دول كده أو أكتر بواخةً!

الست ممكن تبقى الست بتاعة حد بإنها هيّ اللي تبقى عايزه تبقى الست بتاعته لأنها حاسّة انه الراجل بتاعها.. والعكس صحيح طبعًا.. فالمسألة مش إنها حاجة حد اشتراها بل أكتر

زي ماتكون لقب بيَحصَّل عليه كل واحد فيهم من التاني لمّا يستحقه.

أنا بَشُوف أي علاقة حب كإنّها حصّالة، طرفي العلاقة بيحوّشوا فيها؛ بيحطّوا حب وإخلاص وتفهّم وتسامح وحنيّة وكل حاجة يقدروا يحطّوها. والحصّالة دي طول ماهي مليانة حيبقى الحب بخير. وكل ماتنقص يكمّلوها كل واحد بطريقته. مافيش حد فيهم ممكن يبقى حصّالته مليانة لوحده ولا مفلّس لوحده، الاتنين يا يخسروا مع بعض يا يكسبوا مع بعض.

نيجي بقه لمين بيحط إيه في الحصّالة: أعتقد إن أغلب الناس وهمّ في علاقة حب (وأعتقد إن هو ده اللي بيبوظ أغلب العلاقات) بيبقى كل واحد فيهم عمّال يراقب التاني بشوفه بيحط قد إيه في الحصّالة، أو في الحقيقة بيراقب هو مابيحطّش إيه «ماعملش» «ماقالتليش» «ماجابش» «ماراحتش» كلّها ملاحظات بتبدأ بـ «ما النفي». وقليّلين اللي بيراقبوا أنفسهم ويحاسبوها على اللي بَخلوا بيه على الحصّالة؛ «كان المفروض اعملّها كدا»، «كان أحسن لو قلتله كدا».. «ماكانش يصَح اروح» «ماكانش يصَح اعمل». لو الاتنين ناس بيحاسبوا أنفسهم تبقى دي علاقة أكيد ناجحة..

فيه علاقات كتير جدًا بيبقى أحد طرفيها بيحط في الحصّالة أكتر من التاني. لو الطرف اللي بيحط أكتر ماكانش عنده مانع يحط أكتر والطرف اللي بيحط أقل كان عنده دم فماساقش فيها، يبقى برضه العلاقة دي ممكن تبقى علاقة ناجحة. أوّل

ما حد يستهبل بقه ويسيب التاني يحط لوحده أو طبعًا الاتنين مابيحطّوش حاجة يبقى كل سنة وهمّ طيبين.

أنا حاسس ان السيناريو الأمثل للمسألة هو ان كل واحد يبص على نفسه بس، ويحاول يحط في الحصّالة كل حاجة يقدر يحطّها من غير ما يستنّى مقابل، وعند اللحظة دي يبقى مش مهم مين بيحط أكتر من مين طول ما الاتنين بيعملوا أحسن ما عندهم، لإن الناس مش زي بعض.. ممكن مراتي تقدر تعملّي حاجات أنا ماأقدرش أعملهالها والعكس أيضًا صحيح. فبالتالي تبقى المسألة مش بالحساب، المسألة بإن كل واحد يحاول يعمل أحسن ما عنده.

الناس بتشتكي دايمًا من فتور الحب بعد سنين من الجواز، كلّه متّفق على إن بعد شوية وقت كده بتخمد حريقة الحب ويحلّ مكانها حب من نوع تاني، مافيهوش مَسْك إيدين وتنهيد ورفرفة في القلب. فيه تعوّد أكتر، إحساس بالتملّك أكتر، بل وأحيانًا زهق يمكن. والحكاية الحقيقة ان احنا الخسرانين لما بحصل كده؛ المشهد عامل بالظبط زي حد كان معاه فلوس كتير وضيّعها كلها. كل الناس حتقول عليه سفيه، مع إن أغلبهم أسفه منه لإنه ضيّع نعمة أغلى من الفلوس بكتير جدًا. وحرم نفسه بإرادته أو بغباوه من أقرب وأسهل أسباب سعادته.

الحب تنجي وبرسي وقارب نجاة

الحب ميّة، وضلّة، وحبّة حياة

عن الدبّان والناموس والنمل واصحابهم!!

أنا كنت عادي يعني بكره الدبّان والناموس والنمل دول كراهية عمياء زيي زي أغلب الناس إذا ماكانش كلّهم.. مش كراهية كراهية يعني، بالعكس ده أنا والله بَحترم بل بَأجِلّ كل حاجة ربّنا خلقها. والحشرات دي مخلوقات مش بس مهمّة للحياة، ده من غيرهم تفنى الحياة. زائد كمان انها كائنات نشيطة وبتجري على أكل عيشها وسُكّرها ودمّها طول الوقت بلا كلل ولا ملل. كائنات منظّمة ومخلصة لأسباب وجودها، ومتفانية في العمل إلى أقصى درجات التفاني.

بس للأسف، لمّا دبانة تيجي تقف عليك بتخلّيك تكرهها، لمّا ناموسة تصحّيك من النوم بتخلّيك تكره نفسك انت أصلاً. لمّا تطلّع شوكالاته من درج وتلاقي النمل اكتشفها وكَلها وملا الدرج بتكره كل الحشرات اللي في العالم. وهو ده سبب عداءنا للناموس والدبّان والنمل، والسبب في إننا بنموّتهم بكل تلك القسوة والشر المستطير.

بس المشكلة بقه اننا بنموّت السابق ذكرهم عن اقتناع أنهم بيعتدوا علينا، مع إنهم عايزين يعيشوا بس، ومش قصدهم يعتدوا علينا خالص. وبعدين هي الأرض دي بتاعتنا احنا لوحدنا؟ ماهي بتاعتهم همّ كمان. واحنا اللي بنضايقهم أصلاً وبنبني بيوت بدل الزرع ومُدُن بدل الطبيعة!!

فهل من حقّنا نموّتهم ولّا لأ؟.. هل ربّنا ممكن يكون بيزعل مننا اننا بنموّت خلقه ولّا لأ؟.. العالم مليان نشطاء بيدافعوا عن الحيوانات اللي البني آدم بيموّتها عمّال على بطّال عشان يكسب فلوس من الفرو والعاج وغيرهم، بس الحشرات ماحدّش بيفكّر فيها ليه كده؟ عشان صُغيّرة؟ لمّا الحرب تجاه الناموس تبقى عشان فيه ملاريا مثلا بيبقى الموضوع منطقي، ماشي. لكن لمّا نتعامل مع الحشرات كلّها على إنها مخلوقات مزعجة مافيش أي ضرر من إننا نموّتها، أكيد فيه حاجة مش منطقية في المسألة.

هو اللي بيحلّي الحكاية مش مأساة أعتقد اننا لمّا نموّت الحشرات دي بيتحللوا ويرجعوا للطبيعة تاني. بس برضه الموضوع محيّر طبعًا.. كائن ربّنا خالقه ومدّيله من روحه لمّا نموّته بالاستهانة دي، تحس كدة ان فيه حاجة مش مظبوطة. وفي نفس الوقت، مايِنفعش برضه اعمل فخ للدبّان والناموس والنمل واصطادهم وكل ما يتملي الشَرَك، انزل اودّيهم الغيط عشان يعيشوا هناك في سلام!

كنت بموّت دبّانة في البيت وبنتي كانت بتتفرج عليّا وسألتني: بتعمل إيه؟ لقيت نفسي بقولّها «معلش أصل احنا مضطرّين نموّتها للأسف، فعشان كدة لازم نعتذرلها واحنا بنعمل كدة!!».. أفسّر للبنت البريئة الشر ده ازاي طيب؟!

وبعدين قلت ليه لأ، ليه ماتبقاش دي الطريقة اللي بنشوفهم بيها.. مش حنقدّرهم ولا حاجة، أتعاطف معاهم بس.. فكل اللي بقترحه الحقيقة هو شوية تعاطف. تشيل الكراهية من المسألة.. كلّنا متعوّدين اننا لمّا نشوف صرصار والعياذ بالله، البنات بيصوّتوا والرجالة (وبعض الستّات أقوياء الشكيمة) بيجيبوا شبشب عشان يسحقوا بيه الصرصار القبيح الدميم المجنون اللي تجرّأ وتطاول ودخل بيتنا.. فيه ناس في الدنيا بياخدوا الصرصار ده على ورقة كدة ولّا حاجة ويطلّعوه بره. هي العملية دي صحيح بتتطلّب إن بره ده يبقى فيه جنينة، بس ما علينا من التفاصيل.. المهم المشاعر اللي بتحرّك الفعل ده. مشاعر تعاطف وفهم ان الصرصار ده مش من الأعداء ولا حاجة، ده كائن صغيّر ضعيف بيحاول يعيش وبتضطرّه الظروف أحيانًا إنه يتسلل من البلاعة ويدخل بيت فيه ناس عايشين.. لو فكّرنا كدة وتعاطفنا معاه حتّى واحنا بنموّته، أعتقد ان شكلنا حيبقى أفضل كتيرًا.. شكلنا قدّام أنفُسنا وقدّام ولادنا وقدّام الصرصار حيبقى أفضل كتيرًا.

وأخيرًا أعتقد ان أهمية الموضوع ده بتيجي مش عشان

التعاطف مع الحشرات حيغيّر الدنيا ولا حاجة، بس عشان التعاطف مع الحشرات ممكن فعلا يغيّر فينا إحنا حاجة. ممكن يخلّينا نفهم اننا مش محتاجين نكره اللي مابنحبّوش. ممكن يخلّينا نبص للآخر كلّه من وجهة نظر مختلفة. ونبقى في الحالة دي مدينين لأصغر كائنات بنشوفها، بواحد من أهم وأكبر الدروس اللي المفروض نتعلّمها!!

الفنّان الأعظم

الفن كلّه بيبهرني الحقيقة، فكرة القدرة على الخلق، خلق فكرة من عدم، خلق لوحة من فكرة ولّا صوت ولّا كلمة اتقالت. ورقة وشوية ألوان وفنان عايز يقول حاجة وتطلع لوحة. حاجة تحصل في الشارع تعدّي على أغلب الناس، وشوية بس اللي ياخدوا بالهم منها، واحد يعمل منها قصيدة أو يألّف حدوتة والتاني يعمل تمثال، ولّا غيره وغيره.. مبهر الفن.

مبهر الفن بالنسـبالي كمان كبني آدم عشان القدرة على الخلق والإبداع دي حاجة عند البني آدم بس، المخلوقات التانية كتير منها بيعمل فن فعلاً؛ رقص ومزيكا وهندسة معقّدة لكن مافيش مخلوق تاني بيعمل فن بنيّة الفن والإبداع كده. إحنا بس.

والفن مش بس في الرسم والمزيكا والنحت وما شابه، لا كمان تمكّن المصانع فنّ، تخيّل بني آدم لمكنة يحط فيها حاجة

من ناحية تطلع حاجة تانية من الناحية التانية طبعًا فن، وفنّ كمان مُعقّد ودقيق ومُعْتَني بأدق التفاصيل.

ولو إدراك التفاصيل والدقة في استعمالها فنّ، فربنا سبحانه وتعالى هو الفنان الأعظم بلا جدال. مراقبة الكون وتأمُّل تفاصيله وتفاصيل الخلق والمخلوقات بيخليك من قدرات ربنا اللامحدودة. لمّا بَفكّر في جمال طبيعة الأرض والفراشات والزرافة والبطريق والبني آدم نفسه والورد والفاكهة والنجوم والمجرات والكون وكل حاجة خلقها، بَشوف ربنا كمان على إنه الفنان البديع المبدع اللي بيحب الجمال فيخلقه، الفنان الأعظم والأقدر اللي جلّ وعلا مش محتاج حد يشوف فنّه، ربنا أبدع في خلق الكون بس لإنه يقدر، وهو الغني عن التقدير والاعتراف بعظمته.

تأمُّل دقة نظام الكون بيأكّدلي إنه مخلوق بخطة محكمة إحكام الخالق العليم بكل الأشياء. لكن التفكير في الجانب الجمالي للخلق ده بيطرح في راسي سؤال كده غريب شويتين بس بصراحة مابقدرش أمنع نفسي من التفكير فيه: تفتكروا ربنا لمّا كان بيُبدع الكون، كان قرار مثلًا إن يبقى فيه ٢٨,٠٠٠ نوع فراشات مختلف؟ (ودي الفراشات الملونة بس، الفراش كله يطلع حوالي ١٥٠,٠٠٠ نوع)!!! هل ربنا خلق ٢٤٠,٠٠٠ وردة مختلفة على الأرض بقرار واحد، ولّا كان الموضوع زي الفنّ ما بيتخلق كده؛ فكرة وبعدين فكرة وبعدين فكرة وبعدين

فكرة وهكذا؟؟.. وأصلًا هل ربنا خلق قرد وزرافة وأسد وأخطبوط وضفدعة وأميبا وقطة وكلب وكل المخلوقات اللي ماتتعدش دي مع بعض كده ولّا كل واحد منهم كان فكرة منفصلة!؟

أنا شخصيًّا حاسس إن ما في الدنيا جمال الخلق زي اللوحة، ريشة في خط في ريشة في لون في فراشة في وردة.. وهكذا. وهو طبعًا تساؤل مستحيل نعرف الإجابة عليه بس كمان حاسس إنه مش غلط بتسئل. على سبيل الحب يمكن، على سبيل الحيرة في عظمة ربنا جايز، أو حتى على سبيل إنه مادام سؤال بيجي في الراس يبقى بتسئل. ليه لأ؟

فالغرض من ورا الكلمتين دول في الحقيقة الحقيقة هو إن التساؤل مش حرام ولا حاجة، ربنا كان ممكن يخلّينا غير قادرين على إننا نسأل مثل هذا السؤال أو غيره. بس هو جلّ وعلا خلّانا نقدر. صحيح ماخلّاناش نقدر نجاوب على سؤال زي ده، بس خلّانا نقدر نسأله. برضُه ما اعرفش ليه طبعًا، بس يمكن عشان السؤال فضيلة.

ده اللي هو احنا يعني، الإنسان. صحيح السواد الأعظم من الناس ولا مخترع ولا حاجة ولا له علاقة بموضوع الاختراع ده. لكن أصلًا أصلًا قدرة البني آدم المذهلة على الاختراع بتذهلني أيما ذهول. الكائن العظيم ده اللي اخترع الطيارة والصاروخ والقمر الصناعي والتليفون والموبايل والتليفزيون والكاميرا والعربية والتلاجة والأسانسير والإنترنت.. إيييه ده.. ازاي كده!!.. شيء يثير الجنون. جنون الإعجاب أو حتى جنون الغيرة، كان نفسي أقدّم للبشرية اختراع من دول يفضل يِبْهر بني جنسي إلى الأبد.. ويثير غيرتهم.

مش عارف ده عشان ما احسّش بنقص ولّا عشان دي فكرتي الحقيقية عن المسألة، بس من عظمة إنجاز كتير من مخترعي الدنيا بَعتقد انهم مش ممكن يكونوا عملوا كده لوحدهم. أكيد وَحْيْ.. أكيد ربنا له دخل في المسألة. يعني ممكن البني آدم يرَكّب خشب على بعضه فيعمل صندوق

يحط فيه الحاجات، ماشي.. وممكن كمان يكتشف انه لو عمل خشبتين مدوّرين حيقدر يرَكّب عليهم الصندوق ويزقّه، مااااشي.. وممكن يرَكّب خشبتين قدام الصندوق ويُربطهم في حمار ولّا حصان ويخليه يشدّهم، مااااااااشي.. عظيم جدًا فعلًا برافو عليه. لكن يقول «لا أنا حاشيل الحمار خالص وحاعمل موتور بيمشي بالبنزين اللي انا مطلّعه من البترول اللي تحت الأرض، فالعربية تمشي لوحدها!!»، لا بقه.. كده كتير.

عادي ان البني آدم يكتشف انه ممكن يتعلم الرسم، وممكن يلاقي في الطبيعة حاجات ملونة كتير فيخترع منها ألوان للرسم، ويعرف حتى يعمل الورق اللي حيرسم عليه، كل ده مااااشي.. لكن قال إيه «لأ.. أنا عايز أصوّر الصورة مش بس ارسمها».. وبعدين لا لا مش كفاية، أنا عايز الصورة تتحرك!... كفاية ان البني آدم بعد مجهود مضني يخترع آلة طباعة، إيه العظمة دي! لأ.. مش كفاية، دي لازم تطبع بالألوان، بكل الألوان.

إيه البجاحة دي؟ مش قصدي بجاحة بمعنى وحش طبعا، بس قصدي البجاحة بتاعة انك تعمل حاجة أغلب الناس شايفينها مستحيلة، بل أصلًا أغلب الناس ويمكن حتى كلّهم مش شايفينها أصلًا!!

فبشكل شخصي جدًا.. انا شايف ان الناس اللي من

النوع ده، الناس اللي بيعملوا إنجازات مُغيّرة للدنيا زي دي، أكيد أكيد ملهَمين، ومنين بيجي الإلهام غير من اللي خالقه وخالقهم.

يا بختهم لو كانوا فعلا مُلْهَمين، وأكبر برافو وأكبر شكرًا في الدنيا، لو ماكانوش.

الموهبـة

منحة من الله أكيد، طريقة للتمييز بين البشر ودليل آخر على إن الناس مش زي بعض أكيد.

أي موهبة.. كل موهبة ملعلة.. حتى لو كانت في النَّصْب، برضُه ملعلة. أنا مش متأكد الحقيقة من الحكاية دي، بس أعتقد كده ان كل بني آدم في الدنيا عنده موهبة. مش قد بعض طبعا، فيه واحد بيعرف يلنلن وفيه واحد بليغ حمدي وواحد موتسارت. فيه واحد بيعرف يكتب وفيه يوسف إدريس وفيه نجيب محفوظ وفيه شيكسبير. إنّما الفكرة ان غالبا كل بني آدم في الدنيا عنده حاجة ممكن يبقى شاطر فيها؛ لو عرف هي إيه أولاً، ولو ظروفه سمحت للموهبة دي انها تطلع ثانيا؛ عشان انا ممكن ابقى موهوب جدًّا في الكتابة، بس أصلًا مابعرفش اقرا واكتب فمش حَعرف اني موهوب في الكتابة أصلًا.

طب هو المفروض الواحد يدوّر على موهبته ولّا هيّ حتطلع لوحدها؟ هل المفروض يعملّها طريق تمشي فيه ولّا

هي حتتصرّف؟ بصراحة بصراحة مش عارف. فيه ناس بتبقى موهبتهم قَدَرهم، غالبًا العظماء كلهم كده. أكيد أكيد شيكسبير كان مخلوق عشان يبقى بالقيمة دي وبالحجم المكانة دي، الراجل مات سنة ١٦١٦ ولحد النهارده لسة بيدرّسوا شغله في كل حتّة في الدنيا، ومش خيطلوا.. شوفوا موتسارت عمل إيه في المزّيكا، وشوفوا كمان سيد درويش وبليغ حمدي عملوا إيه في المزّيكا.. كانوا عباقرة مش بس موهوبين. فالعباقرة دول إحساسي بيقولّي كده إنهم مُقدّرين برضُه، لإن صعب بصراحة تبقى كل دي صدف يعني؛ موهبة فذة في توقيت مظبوط في مكان مناسب، مش منطقي إنها تبقى صدف، هو ممكن طبعًا مش مستحيل، بس صعب شويتين.

بس برضُه طبعًا ممكن يكون كان فيه ناس كتير في الدنيا عندهم نفس موهبة موتسارت وشيكسبير بس لإن الظروف ماكانتش مناسبة مابقوش، ممكن جدًّا.

وممكن كمان مايكونش التخلّق ده قَدَري، ممكن تكون المسألة إن الموهبة الفلانية بتُعْطَى لناس كتير، واللي بيعرف يطلّع الموهبة ويعمل بيها حاجة عبقرية هو أكتر واحد حاسسها ومستوعبها ومقدّرها، أكتر واحد عايزها، أكتر واحد عايز يعمل بيها حاجة.. مش عارف بصراحة.

بس اللي متأكد منه بقه هو إن أكبر وأعظم موهبة في الدنيا هي موهبة الحياة نفسها. واعتقد كمان إن الموهبة دي تحديدًا

كل البشر مزوّدين بيها. الموهبة اللي تقدر تمكّنك من إنك تعيش في الدنيا بتوازن؛ تحب الحياة بس ماتتعلّقش بيها، تختلف عن الأخرين بس ماتكرهْمش، تنتمي لأي حاجة بس من غير تعصب، تسامح بس ماتنساش، ترفض بتعقُّل، تفرح باتزان، تعيش بس ماتنساش الموت، تتخيل بس ماتبعدش عن الحقيقة، تبقى طَمُوح بس ماتطمعش، تسأل بس ماتكفرش تعيش باتزان.

أول درس نتعلمه من الطبيعة هو الاتزان، سيبكو من إن البني آدم عمّال يخرّب في الاتزان ده بقاله عشرات السنين، بس أصلًا أصلًا الطبيعة متوازنة جدًّا، الطريقة اللي بتتحرك بيها المية من البحر للهوا للسحاب للأرض للنهر للبحر تاني، اتزان. ده بياكل ده، وده بياكل ده، وده بياكل ده، اتزان. كل حاجة بتطلع من الأرض وبترجع للأرض، اتزان. حركة الكون والشموس والكواكب كلّها اتزان.

ومن ناحية تانية أول ما نبص على مصادر كل الشرور في الدنيا حنلاقيها جاية من عدم اتزان. طموح زيادة يبقى طمع، طمع زيادة يبقى عمى، استعمال زيادة يبقى استغلال، غيرة زيادة تبقى شر، حب زيادة يبقى تعصّب. الدنيا مبنية على الاتزان، وكل ما قلّ توازنها كل ما هَوَتْ إلى القاع.

وزي ما تلاحظوا بسهولة، مستحيل مثلًا واحد مش موهوب في المزيكا يبقى عازف شهير، مستحيل. لو مش موهوب في

النحت، مش حيبقى نحّات عظيم.. لو مش موهوب في التمثيل حيفضل يمثّل وحش حتى في فيلمه الـ ١٨٠.

بس عكس كل المواهب الأخرى، موهبة الاتزان، موهبة الحياة.. هي موهبة مش مستحيلة على حد. صعبة طبعًا زي كل حاجة في الدنيا بس مش مستحيلة.

السووووور

فيه قصة جميلة جدًّا غالبًا كلكو عارفينها بس بعني زيادة توكيد أحكيهالكو بسرعة.

كان فيه ولد عصبي جدًّا إلى درجة الجنون كل ما حاجة تضايقه يتنرفز جدًّا ويخبط حاجة يكسرها، ولّا يشتم حد يزعله ولّا ولّا.. أبوه جاله في يوم وقال له «أنا عايزك كل ما تتنرفز تجيب مسمار وتدقّه في السور ده».

وفعلًا الولد كان بيعمل كده.. كل ما يتنرفز ويخرج عن شعوره يرجع يدق مسمار في السور. وبعد ما السور اتملا مسامير. شاف الولد المنظر ده ففهم الرسالة، وحسّ انه لازم يتغيّر. قال لأبوه، أبوه قالّه «طيب.. دلوقتي بقه كل ما حاجة كانت في العادي ممكن تنرفزك وتمسك نفسك وماتتنرفزش، تشيل مسمار من اللي انت دقّيتهم في السور». الولد عمل كده فعلا، وبقى كل يوم بيخلع مسمار أو أكتر من السور لحد ما

شالهم كلهم. أبوه جاله وقاله براڤو عليك والكلام ده، بس بُص عالسور حتلاقيه مليان اخرام مكان المسامير.

وهو ده اللي بيحصل فعلاً في الحياة. كل مرّة بتعمل حاجة غلط بتعمل خرم. وحتى لو صلّحت غلطك أو بطّلت تعمله.. الخرم بيفضل موجود.

(أهدي هذه القصة إلى القاهرة الجميلة القبيحة. الجميلة اللي بنملاها اخرام كل يوم.. ومش عايزين نتوب أبدًا).

الشجاعة

دائما ما يثير إعجابي.. واحدة من أهم المميزات اللي ممكن تبقى موجودة عند البني آدم.. الشجاعة..

يعتقد الكثيرون إن الشجاعة هي إنّك ماتخافش.. ويعتقد الكثيرون برضه إن مافيش حاجة اسمها ماتخافش لإن الخوف صفة إنسانية عندها استعمالات كتير مهمة للبني آدم. فالشجاعة في التفسير ده، تبقى إنّك تحتفظ برباطة جأشك وتُسيطر على خوفك عشان تعرف تتصرف كويس في مواجهة اللي إنت خايف منّه.

الشجاعة نفسها بقه أنواع عديدة.. فيه شجاعة بتيجي من الجهل.. لما تبقى مش مدرك لقوّة عدوّك مابتخافش منّه.. فلو هو أقوى مما أنت مُعتقِد.. يبقى فرصة سعيدة..

فيه شجاعة مصدرها الثقة.. تبقى عارف إمكانياتك، عارف نفسك ومصدّق فيها.. فتبقى شجاع..

فيه شجاعة مصدرها الإيمان.. الإيمان في رأيي أهم فايدة بيدّيها للبني آدم.. هو إنه بيطمّنه، والطمأنينة غالبا بتؤدي إلى الشجاعة.. الإيمان بيخلّي البني آدم أشجع.. لو آمن البني آدم فعلا بإن فيه إله خالقه وخالق الكون حيبقى شجاع.. على طول كده.. حيرمي مخاوفه على خالقه فخَيُطيه خالقه شجاعةً فيرضى..

فيه أنواع من الشجاعة مابتبانش من برة زي الشجاعة بتاعة الإيمان دي.. لو واحد مفلّس مثلا بس مطّمّن إن ربنا حيرزقه فمش قرّعان يعني من المسألة يبقى شجاع.. بس لو معدّي جنبك في الشارع مش حتشوف شجاعته!..

وفيه أنواع تانية من الشجاعة ممكن تشوفها بعينك.. شجاعة العسكر في الحرب.. شجاعة المتظاهرين في المظاهرة.. شجاعة البحّارة في البحر.. حتّى شجاعة اللعيبة في الملعب.. شجاعة أول بني آدم عمل طيارة وطلع يجرب حتطير ولا حتقع.. شيء مذهل جدًّا الشجاعة..

أنا فتحت الموضوع ده أصلا أصلا بقه عشان بصّيت على العالم كدة ولقيته بقى جبان جبان جبان.. كل الناس خايفة تموت وكل الناس حتى خايفين يخسروا أي حاجة في الدنيا.. كل الناس خايفة وخلاص، في تقديري أكتر بكتير من المطلوب..

الحقيقة الرعب اللي سـبباه أنفلونزة الخنازير على الخصوص هو اللي خلاني أفكر في الموضوع ده.. قد إيه كلنا مش عايزين نتصور أبدًا إن ممكن لو فيه وباء غزا العالم، إحنا (اسم الله علينا) ممكن نتعدي وممكن نموت. وكإننا أحسن من كل الناس اللي ماتوا بأمراض في تاريخ الدنيا الطويل!. حتّى بنقول دايمًا «الشر برّة وبعيد» مع إنّه مش برّة ولا بعيد !!.. ده في كل حتة طول الوقت، إحنا اللي بنقرر مانبصّش عليه..

الناس حتى مرعوبة من الأزمة الاقتصادية وكإننا محصنين ضد المشاكل والأزمات، والمفروض كلّنا نعيش حياة طويلة مديدة من غير ما تحصلّنا أي حاجة وحشة أبدًا ولا في أنفسنا ولا حتى في أرزاقنا !! إشمعنى يعني؟.. جبتوه منين الكلام ده؟.

(طبعًا إن جاز التعبير) ربّنا أبدا مافضحكش عالبني آدم!.. من يوم ما اتخلقت الأرض اللي احنا عايشين عليها دي وهي مليانة أمراض وأوبئة وبراكين وزلازل وجراد ومصايب.. هي الدنيا دي خلقتها كده.. إحنا بس اللي مابنفكّرش فبننسى..

أنا شخصيا أعلن سعادتي بالأزمة الاقتصادية وبوباء الأنفلونزة وبالطاعون الليبي وبالجراد البحر أحمري وبأي حاجة تفكّرنا بإن الحياة صعبة ومحتاجة من البني آدم شغل

كتير جدًّا عشان ينعم فيها ببعض سنوات من السلام كلّ حينٍ ومين..

ده ماهو إلّا تمرين للذاكرة.. تمرين للشجاعة.. العسكري المقاتل اللي بيواجه الموت طول الوقت بيبقى شجاع كده عشان بيتْمرّن شجاعته.. لعيب الملاكمة ولّا حتى لعّيب الكورة اللي بيتضرب طول الماتش بالقسوة دي، بيقدر يحتفظ بشجاعته لإنّه بيمرّن شجاعته..

أغلب سكان العالم شباب النهارده، ومن ساعة الحرب العالمية التانية (واحنا شخصيا من ساعة حروبنا مع إسرائيل) ماحصلّناش حاجة وحشة.

دورنا أخيرا جه عشان نبقى جزء من التاريخ.. حتى لو كنا حنُكْتب في صفحات الموتى (ماهي لازم تتملي!!).. دورنا أخيرا جه عشان نحاول نُدَلِل على شجاعتنا في مواجهة الأزمات والمصايب. ولو مادلّلناش.. أتمنى أن نُلهم من سيأتوا بعدَنا أن يُدَلّلوا.

المحنة جزء من البني آدم من غيره «ما يِصير».. من غير كل ما طُلِب من البني آدم إنه يواجهه من صعاب ماكانش البني آدم مشي خطوة لقدّام. من غير ألم مش حنتعلم.. ومن غير أزمات قوية تقطم الوسط وتكسر الضهر حنبقى ضعاف.. بقينا ضعاف..

عزيزي البني آدم الحريص على الدنيا، عزيزي البني آدم اللي عايز يعيش إلى الأبد.. عزيزيَ البني آدم الخائف في كل مكان.. ماتخافش.. كلنا حنموت في كل الأحوال.. «بعد الشر يعني !!!!!!!»;-)

الشهرة تجربة غريبة وغنيّة وممتعة بس بالرغم من كده قد تكُون مضرة جدًّا، بصراحة مش قادر أقيّمها بالظبط يعني بس ححكيلكو وانتو قيّموها.

أول ما طلعت في التلفزيون الموضوع كان يخُض، أدخل حتة الاقي حد بيسلم عليّا اتبسط أوي. وانا ماشي في الشارع الاقي حد جاي يتصور معايا، انشِكح أوي. وبعد شوية كده فيه حاجة وحشة جدًّا بدإت تحصل، بقيت لّما ادخل مكان الاقي نفسي بدوّر على الناس اللي تعرفني، واتضايق وأُسِرُّها في نفسي لو مالقيتش حد سلّم عليّا. أول ما لقيت ده بيحصل شفته على طول على إنه مرض سخيف، وبدأت اشتغل عالحكاية عشان انتزعها من قلبي. الموضوع خد مجهود ووقت الحقيقة بس الحمد لله خفّيت خلاص.

ماكنتش بقدر انزل من البيت مثلًا وأنا لابس وحش ولّا

دقني طويلة وشكلي مش ولا بُد.. وبعدين بقيت بنزل عادي ولا يهمّني، اللي مش عاجبه مايبصّش.

مابقيتش احب ان الناس تسلم عليّا وخلاص، بقيت بتبسط بس لما حد بيحبّني يسلّم عليّا. مابقيتش مبسوط يعني من حكاية الشهرة دي في حد ذات نفسها كده، بس لمّا حد يجيلي واشوف في عينه انه فرحان انه شافني فعلاً، مش عشان انا بطلع في التليفزيون (عشان بَحسّ ان فيه ناس كتير بيسلّموا على أي حد شافوه جوه الصندوق وخلاص) بس عشان فعلا بيحبّني، بيعجبه مجهودي، بتْلهمه أفكاري، مش عارف احكيلكو قد ايه شعور لطيف انّك تبقى عارف انّك قدرت تأثر في بني آدم، من غير حتّى ما تقابله.. بني آاآدم..

بس بالرغم من إن كل مظاهر الإعجاب دي مفرحة جدًّا جدًّا، إلا إني بقول على نفسي خلّيت عشان بقى الإعجاب ده ما بـيَخدوش لنفسي، شغلي اللي بياخده، راسي اللي بتاخده، مش أنا.. فالحكاية مابتبقاش في قلبك، بتبقى في راسك بس.. وصدّقوني الفرق كبير جدًّا.

فيه كمان شوية حاجات ظريفة لازم اعترف بيها، برضه بتعملها الشهرة: الشهرة بتسمحلك مثلاً انك تدخل تفض خناقة حامية الوطيس في الشارع لو الاتنين اللي بيتخانقوا يعرفوك أو حتّى واحد منهم.. مفعول السحر، بتعمل شعور رائع الحكاية دي الحقيقة.

ممكن كمان في الشوارع الجانبية الضيقة لما تتسد تماما والحل يبقى مستحيل، تسمحلك الشهرة انك تقوم بدور عسكري المرور المتطوع، والناس تسمع كلامك! (عكس عسكري المرور اللي مش متطوع). وهو الأمر اللذي بَحِبّه جدًّا، أنا أصلًا كان نفسي أطلع ضُول مرور.

وكلام في سرّكو، في المصالح الحكومية الشهرة بتخلّيك تتعامل على إنّك بني آدم. مش قصدي انك تبقى بتحصّل على خدمة غير عادية يعني، هي بس بتخلّيهم يعاملوك كبني آدم، عادي يعني. بتاخد ما يستحقّه كل الناس (وللأمانة ساعات اكتر حاجات بسيطة). وبالرغم من إن ده مش عادل أوي إلا إنه مفيد جدًّا، والكدب خيبة. أنا بصراحة وانا داخل أي حتة اعمل أي حاجة ببقى بدّعي ان الناس يبقوا عارفينّي، وبُستحب جدًّا لو كانوا بيحبّوني. ويا سلام لو بنت إحدى السيدات الموظّفات بتموت فيّا وحافظة كل كلامي :)

في المصالح غير الحكومية المفروض ان مافيش فرق يعني والناس كلّهم بيتعاملوا كويس، بس برضه في أغلب الأحيان بيبقى فيه حتة زيادة كدة مش بطّالة أبدا..

وعلى ذكر هذا الموضوع كله على بعضه بقه، بما إنّه انفتح يعني؛

أولا: يا جماعة الناس اللي بيطلعوا في التليفزيون دول،

صحيح مايسمعوكوش وهمّ في التليفزيون. بس لما يكونوا جنبكو في نفس المكان بيسمعوا عادي!!!

ثانيًا: صحيح أي شخصية عامة بتكتسب كل نجاحها من جمهورها. بس يُرْجَى عدم نسيان ان ده بني آدم برضُه. عنده مشاكل وحاجات بتضايقه وحاجات بيفكّر فيها ولخبطة و.......... حاجات يعني، عنده حاجات كتير.

ثالثًا: النجاح والنجومية من الجمهور آه، بس القيمة لأ.. الجمهور سهل جدًا يرفع حد في السما وهو مايستاهلش أو ينزّل حد في أسفل سافلين وهو يستحق أكتر من كدة بكتير. أنا ماليش دعوة بحد تاني في النقطة دي تحديدًا بس بالنسبالي أنا، عزيزي الجمهور: لو إنت عايزني أقولّك الكلام اللي انت عايز تسمعه وخلاص، يبقى طظ فيك مش حقوله، حقول وحكتب دايمًا اللي أنا شايفه، عشان يبقى فيه لازمة من إني أقول أصلًا. صدّقوني مش في مصلحتنا على الإطلاق إننا نفضل كلّنا نقول اللي كلّنا عايزين نسمعه وماتسمعش غيره، للحقيقة أوجُه كتيرة...

رابعًا: مابنساش أبدًا أي كلمة حلوة حدّ بيقولهالي عن شُغلي.. بيْحْفُروا في قلبي وذاكرتي حفر. أعتقد انّهم الزاد الحقيقي اللي بيخلّيني اقدر اعمل اللي أنا بعمله.. وعلى ذلك أشكركم..

العالمية

مش عارف ليه كل الناس متّفقين على إنك لازم تحب الوطن؟ إشمعنى الوطن بس اللي تحبّه يعني! يجرى إيه لو حبّيت الوطن والوطن اللي جنبه واللي جنبه وتحِبّ العالم كُلّه!..

هو يعني إيه وطن أصلًا؟ الخطوط المنقطة اللي عالخريطة؟.. طب ما دي البني آدم اللي عاملْها! إيه اللي بيربط أبناء الوطن الواحد ببعض، التاريخ الواحد مثلًا؟ طب ما أغلب سكان الكوكب مصدّقين ان البني آدم مصدره واحد، آدم وحوا! يعني لما ترجع في التاريخ من أوله خالص خالص حتلاقيه تاريخ واحد!.. إيه تاني بيجمع بين أهل الوطن الواحد، الجغرافيا؟ وليه الأرض كلها ماتبقاش وطن أهل الأرض؟ ولو لازم يعني يبقى فيه أعداء، نعتبر ان لو فيه كائنات فضائية يبقوا هم دول الناس التانيين.. همّ دول الأعداء.

إيه كمان؟ المستقبل الواحد مثلاً؟ طب ما العالم النهارده أهه اكتشف خلاص، إنك تطلّع دخّان كتير في الصين والهند وأمريكا يخرم الأوزون فوق أنتراكتيكا ويسيح التلج في سيبيريا وتغرق هولندا.. ما شوية ناس قعدوا يلعبوا في البورصة وشوية ناس اشتروا حاجات بالقسط، راح العالم حاصلّه أسوأ أزمة اقتصادية في تاريخه الحديث.. ما المصير واحد أهه! ما هو نفس المستقبل أهه..

ممكن تكون الحكمة اللي ورا فكرة المشاعر تجاه الأوطان دي كلّها هي المنافسة، إن البني آدم بطبعه لما يبقى في منافسة مع ناس تانيين بيبذل مجهود أكبر ويبزق نفسه أكتر وهكذا، بس طّب ما فيه حاجات كتير عاملة للبني آدم تحدّيات وممكن يتنافس معاها بدل ما يتنافس مع بعضه، مع نفسه! ما هو على طول في منافسة مع الوقت والطبيعة والأوزون والإيدز والسرطان والميّة اللي بتقل والناس اللي بتزيد والغابات اللي بتخلص والبترول اللي بيتحرق لحد ما حيخلص برضه والفقرا اللي ماليين العالم وجنون البقر وأنفلونزا الطيور والخنازير كمان بالمرّة وغيره وغيره، ما هو عنده حاجات كتير يتنافس معاها أهه! ده غير يعني إنه أصلاً أصلاً على طول في منافسة مع نفسه عشان يعرف أكتر، ويفهم أكتر، ويقدر يحل مشاكله، ويعيش أحسن! إيه لازمة المنافسة غير الشريفة اللي مليانة عداء وكراهية؟

وبعدين هو لو سمكة مثلاً من البحر الاحمر عدّت القناة وراحت البحر الابيض، حتلاقي السمك اللي هناك بيقولّها انتي جاية هنا تعملي إيه؟! إشمعنى احنا اللي بنقول!

الأفيال والخراتيت اللي في كينيا، مايعرفوش إنهم كينيين، يعرفوا إنهم أفيال ودي الأرض اللي عايشين عليها وخلاص.

أنا ماتجننتش ولا حاجة لسّة، عارف ان البني آدم كائن أعقد بكتير من السمك والفيل والخرتيت، وإحساسه بمنطقة نفوذه مختلف، ورغبته في المنافسة أشدّ، وموضوعه أكبر بكتير عمومًا يعني. بس برضُه الفكرة بتردّ في راسي وبتبدولي منطقية جدًّا.

يجرى إيه لو كل سكان الأرض اعتبروا الأرض كلها وطنهم وحبّوا العالم كله، وانتموا للعالم كلّه واتحمّقوا عشان العالم كلّه؟، يجرى إيه لو شاف البني آدم حقيقة إن كل الناس واحد؟؟.. مش حنبقى كلّنا أسعد حالاً؟!

ومين عارف، ممكن يحصل كده في يوم من الأيام فعلاً. ولو الكتاب ده لسة عايش ساعتها، وفيه ناس لسة بتتكلم عربي ويعرفوا يقروا عامية مصرية. إبقوا افتكروني يا قوم باللي جيتوا بعدنا بكتير.

إنت مين؟

فيه حاجة غريبة جدًّا تلاحظها بسهولة أعتقد سواء في مصر أو في العالم العربي كلّه، ويمكن حتى في العالم التالت عموما. حاجات كده مش لايقة على بعض تخلّيك مش عارف انت بتكلم مين بالظبط ولا بتتعامل مع مين بالظبط ولا أي حاجة بالظبط.. مافيش بالظبط.

تلاقي مثلًا الناس كلهم بيشتموا في طريقة السواقة.. أمّال مين اللي بيسوق وحش يا جماعة؟.. الناس كلهم بيشتكوا من كروتة الشغل، أمّال مين اللي بيكروت؟! الناس كلهم بيشتكوا من إن الشوارع مليانة زبالة، أمّال مين اللي بيرميها!؟

بصّوا عالأفكار كمان، الناس كلهم بيقولوا «ماحدّش بيسمع حدّ».. الناس كلهم بيقولوا «ماحدّش عايز يتغير»، الناس كلهم بينتقدوا الأنانية والأنامالية والسلبية. أمّال مين يا جماعة اللي بيعمل الحاجات دي؟! أنا نِفْسي مرة أقابل حدّ يقولّي «أنا أناني عشان كذا» يبقى عارف إنه أناني وفاهم

هو ليه أناني. «أنا بَختار أبقى مواطن غير صالح عشان كذا» يبقى عنده فلسفة هو ليه عامل كده. «أنا مابعرفش أسوق.. أو أنا مقرر إني أسوق وحش لإن كذا كذا». يبقى عارف، فنبقى بالتالي كلنا عارفين. على الأقل عشان يبقى عندنا فرصة بس.. فرصة نصلّح عيوبنا.

نسبة مرعبة مش عارفها بالتحديد طبعًا، من الولاد الشرق أوسطيين؛ عايز يحبّ واحدة، بس مش عايز يتجوز واحدة حبّت حدّ قبل كده!! ازاي ده ممكن! تكفّيكو بنات منين يعني!؟ هو احنا بنزرعهم؟.. هو يحبّ، بس أخته لأ. طب وإيه الفرق بين أختك والبنت اللي انت سامح لنفسك انك تحبّها انا مش فاهم!!؟؟

فيه ناس كتير في الدنيا مقتنعين ان البني آدم لازم يليق على بقية الناس؛ يلبسوا زي ما الناس شايفين، يتكلموا زي ما الناس عايزين، وياكلوا حتى زي ما الناس قابلين. بيتصرفوا عمومًا كده زي ما الناس بتتوقع منهم أو بتستحملهم..

لو حد سألني عن رأيي حقول خط في الناس، مش لازم تليق عليهم خالص لو مش عايز.. بس لازم تليق على نفسك.. ليق على نفسك بس، حتبقى رائع.. حتى لو انت وحش، وحاشتك حتبقى ساعتها بتاعتك.. فحتبقى رائع الوحاشة..

من جدّ وجد ومن زرع حصد
بس أكل العيش مر!!..

نتكلم الأول عن أكل العيش المر وبعدين نروح للزرع والحصاد.

أكل العيش مُرّ عشان الشغل مُتعب ومُشقي، بس كمان بيبقى أمَرّ بكتير لمّا حد بيتنازل عن حاجات مهمة عشانه.. عشان الشغل، عشان الفلوس.. أكَمْ من ناس بتبلع كرامتها ومبادئها وحتّى أحلامها نفسها عشان خايفين عالوظيفة وخايفين عالقرشين أو العشرين مليون قرش اللي بتجيبهم الوظيفة أول كل شهر!!

مش قصدي والله خالص أتكلّم عن نفسي بإعجاب بس عايز أحكيلكو ما «شُفته بعيني ماحدش قالّي».. أنا بشتغل من سنة ٩٣، يعني ١٦ سنة في لحظة كتابة هذه السطور، والحمد لله الحمد لله الحمد لله، عمري في شغلي ما خلّيت حد يكلمني كلمة مش عاجباني، عمري ما سكتّ عن حقي،

عمري ما بلعت كرامتي، عمري ما خُفت اسيب شغل، عمري ما خُفت ما الاقيش غيره، عمري ما خفت من حد.. وأنا صغير جدًا فهمت ان الأرزاق بتاعة ربنا ومكافأتي كانت ان عمري ما ندمت، عمر الكريم ماخلاّني أندم. في أحلك أحلك الظروف، عمري ما قلّست مثلاً، عمري ما احتجت لحد، عمري ما استلفت جنيه.. وأنا على يقين كامل ان ده بالظبط هو السيناريو اللي منتظر كل واحد بيصدّق في نفسه ويصدّق في ربنا ويثق فيه فعلا من قلبه ويعتمد عليه.

خالد الخميسي كاتب «تاكسي» حكى قصة عبقرية في الكتاب، أعتقد كانت أول واحدة. جه على لسان بطلها (أحد سائقي التاكسي): «نملة سودة، فوق صخرة سودة، في ليلة ضلمة كحل، ربّك يرزقها».

الثقافة الشعبية المصرية فيها جدًا «الأرزاق على الله»، بس مش عارف ليه كدة مابحسّش إننا مصدّقينها.. أنا شخصيا مصدّق تماما اننا كلّنا لا نملك من أرزاقنا شيء. اللي ربنا عايز يدّيهولك عمر ما حد يقدر يمنعه. واللي عايزك ماتاخدوش عمرك ماحتاخده، عمرك.. لو عملت قرد، لو عملت شجيع السيما، لو عملت أي حاجة. اللي ربنا حيدّيهولك حتاخده وبس، ولا قرش زيادة ولا قرش ناقص.

بس هنا بقه، عند اللحظة اللي انت بتصدّق فيها ده فعلاً، بتتخلق مشكلة، أمال المجهود راح فين؟ والتعب راح فين؟

ومن زرع حصد راحت فين؟.. كلهم ماراحوش في أي حتة، موجودين وحقيقيين وبجد وكل حاجة.. فيه واحدة صاحبتي سألتني مرة «هو انا المفروض أعمل ايه عشان احقق حلمي؟».

قلتلها والله المشكلة بتاعة السؤال ده ان إجابته مش واحدة عند كل الناس.

أنا مثلًا بصراحة بصراحة عمري ما تعبت عشان الاقي طريقي (وأنا مشيت في طرق كتير) كان بيجيلي فكرة بس «طب أنا عايز أعمل كدا» يجي الكدا ده لحد تحت رجلي. وساعات حتى كان بيجي من غير ما اعرف اني عايزه.. فاقتنعت ان أصلًا أصلًا حتى الفكرة اللي جت في الأوّل مش من عندي يعني، ده بس ربنا كان بيخلّيني أحس بإيه اللي جاي بعد كده عشان أطلبه.. ومش معنى الكلام اللي فات ده إن المسألة كانت بتيجي على طبق من فضة وإني ماكانش مطلوب مني حاجة لأ، كان مطلوب حاجات كتير.. كان مطلوب اني احب شغلي. وكان مطلوب اني اتعلم كويس وابقى شاطر الأول وبعدين ابقى أدوّر عالفلوس. وكان مطلوب اني أعمل كل اللي اقدر عليه. وكان مطلوب اني أشتغل بالتلات أيام من غير ساعة نوم. وكان مطلوب اني أقعد بالشهور مابشوفش حد من اصحابي. كان مطلوب كتير وأنا ولله الحمد عملته كلّه، فكنت باخد جزائي من جنس عملي. فبالنسبالي أنا..

حاسس إن المسألة كانت ان ربنا بيدّيني فرصة وبسبب الباقي عليّا.. مش كل الباقي طبعاً، كنت اعمل كويس، هو بيخّحني.. التعب هو بيخلّيني الاقي.. دايما كده. هو الأول وبعدين انت، وبعدين انت الأول وبعدين هو.

فيه ناس تانية مش عاملة كده. أنا شفت ناس بقى من وهمّ صغيرين جداً، «أنا عايز ابقى كذا» ويفضل يروح ويجي ويحاول ويطلع وينزل لحد ما يقدر يعمل الكذا ده اللي كان يبدو لكل الناس مستحيل.

ده تكنيك مختلف خالص. مَاعرفوش كويس عشان ماحصلّيش، أنا بس حاسس كده ان في الحالة دي بيبقى ربنا عارف طبعا انت تقدر عاللي انت عايزه ده ولّا ماتقدرش، واللي يقدر، ربنا بيوحيله ان هوّ يقدر وعشان كده يفضل يحاول، يبقى مصدّق الحاجة اللي بتبدو لكل الناس على إنها مستحيلة دي، لإن ربنا نفسه اللي بيوحيله بكده، فالمستحيل بالنسبة للناس مايفرقش معاه. وبعد الوحي، بيرضّه جزاؤه بيبقى من جنس عمله، ما هو صدّق الوحي وصدّق في نفسه، وكمان اشتغل وعمل اللي عليه. أكيد حَينجح.

طب واللي ماتعبش أوي يعني بس نجح؟؟

إنت مالك انت بيه، هو انت الإِنه حاجة؟ ربنا اللي اداله.

طب واللي تعب أوي ومانجحش؟

مَاعرَفش.. ممكن ألف حاجة. ممكن يكون ربنا مش عايزه ينجح، مش عشان مابيحبوش ولا حاجة، ربنا بيحبّنا كلنا، امّال خالقنا بكرهنا؟. بس فيه أسباب تانية، ممكن مثلًا يكون الشخص ده أصلًا شخص كويس ومتواضع ولو نجح حيبقى مغرور، ربنا بيحميه من نفسه؟!

ممكن يكون الشخص ده ماشي حاله بس لو معاه فلوس حيبقى زبالة، وربنا مش عايزه يبقى زبالة.. ممكن أي حاجة بس القاعدة صحيحة وحقيقية مافيش كلام.. آه من جد وجد وآه من زرع حصد.. وآه لازم تشتغل لحد ما تخرّ دم حتّى لو مانجحتش. وبعدين بقى حيحصلّك ايه بالكلام ده كله؟.. مش شَغَلتك؟..

بس

السيناريو

مشهد ١ ـ داخل تاكسي في شوارع القاهرة

نهار/ خارجي

البطل داخل التاكسي يحث السائق على الإسراع.

مونتاجات متتابعة لما يدور في ذهن البطل أثناء الرحلة: يتذكّر حبيبته وهي تؤكله الأيس كريم بيديها.. ويتذكر وهو يجري وراءها في الحقول.. ويتذكر وهو يحتضنها بقوة بين ذراعيه بعد أن رقصا سويًّا في حفلة رأس السنة.

يرجع من شروده ليحث السائق على الإسراع مرة أخرى

حمدي: بسرعة يا أُسطى أرجوك

ـ السائق: حاضر يا سعادة البيه.. حاضر

قطع

مشهد ٢ ـ أمام فيلا البطلة

نهار/ خارجي

البطلة وقد ركبت تاكسي آخر (غير بتاع البطل طبعا) والتاكسي محمّل بالكثير من الشنط. تقول للسائق

نادية: على المطار يا أُسطى لو سمحت

يبدأ تاكسي البطلة في التحرك في نفس اللحظة التي يصل فيها تاكسي البطل إلى الشارع، وبينما يأخذ السائق المنعطف الأخير قبل الفيلّا (الفيلّا على ناصية) يكون تاكسي البطلة قد تحرك بالفعل فلا يراه البطل.

ينزل البطل من التاكسي بتاعه، يُهرول إلى الباب، يرنّ يرن ولا أحد يردّ. ينظر يمينًا ويسارًا في حيرة ويعضّ على يده اليمنى المضمومة ويلقي بنفسه على باب الفيلّا في أسى.

قطـــع

النهايـة

نادية كانت رايحة المطار عشان تروح تعيش مع عمّها في اليونان بعد ما حمدي كسر قلبها. وحمدي كان رايح يصالحها ويبوس إيديها ويترجّاها انها تسامحه، ولو كان جه ٣٠ ثانية بدري، كان لحقها وكان ممكن يتجوزها ويخلّف منها ٧ عيال ويعيش معاها للأبد في مصر الجديدة مش في اليونان ولا حاجة!

الحاجات دي بتحصل في الدنيا؟ بالفُم المليان: طبعًا.

طب ده كده يبقى قدر ولّا حظّ؟ كل واحد حُر يشوفه زي ماهو عايز بس انا شخصيا متأكد انه قدر.

وخلوا بالكو كويس، لو هوّ كان لحقها قبل ما تمشي وقالت له لأ أنا عايزة أعيش في اليونان ومش عايزة اتجوزك، كان ده بقى قرارها هيّ. بس إنه مايلحقهاش أصلًا، ده قرار مش بتاعها ولا بتاعه.. قدر.

في السينما بيُعاب على الفيلم لمّا يبقى فيه صدف. «يا سلاااام!! وهو بقى في المدينة اللي فيها ٢٠ مليون بني آدم، ماشي في الشارع كده لقاها؟!» حاجات شَبَه كده بيقولوها الناس تريقةً على صدف الأفلام.

وفي الدنيا الصُدفة من أكتر المواضيع اللي حواليها خلاف... الأحداث اللي بتحصل حوالينا دي كلها صُدف ولّا أقدار؟.. تعالوا الأول نتّفق على تعريف ماهو مفهوم ضِمنًا من السؤال: تعريف الصدفة هي إنّها الحدث اللي بيحصل بشكل عشوائي أولًا، ومن غير ترتيب إلهي ثانيًا. زي ببساطة مثلًا انك تبقى شايل كبّاية شاي وتتكعبل فتقع منك الكباية وتتكسر، وتنضّف الأرض انت وتشيل القزاز وتعمل كبّاية شاي غيرها وخلاص كده خلص الموضوع تماما. لو بقى اتكعبلت نفس الكعبلة بس وقعت وقعة جامدة فالكبّاية المكسورة دخلت في رقبتك، فمتّ، (بعد الشر عليكو يعني) يبقى ده قدر. لو بسبب الخَمَس دقايق اللي إنت إتأخّرتهم دول راح منّك شغلانة مثلًا

ولّا حاجة كبيرة كدة، يبقى إحساسي الشخصي بيقوللي إن ده قدر. لانه خلّى حدث تافه يبقاله أثر كبير.

نلاحظ بقه إن عشان نفهم الصدفة كويس، لازم نفصل فاكرين انها بتحصل من غير تدخّلك، قبل ما انت أصلّا تتاح ليك فرصة الاختيار. يعني انت لو وقعت ودخلت الإزازة في رقبتك بس مامتّش ولا حاجة. وبعدين بدل ماتروح المستشفى على طول، قلت ما هي حتخِف لوحدها دلوقتي فقعدت تنزف وكنت حتروح فيها، يبقى ده مش قدر، ده إنت عملت حاجة غلط. لو رحت المستشفى فعلا والدكتور خيّط الجُرْح وحش فباظت الدنيا وقعدت تعالج فيه سنة، يبقى ده مش قدر برضُه. دي تبقى غلطة الدكتور، يا إمّا غلطتك انت لإنك مارحتش مستشفى أحسن، يا إمّا غلطة وزارة الصحة، يا إمّا غلطة المستشفى وهكذا. مادام حد عمل حاجة غلط يبقى ده فعل فاعل مش فعل القدر.

وأنا مش قصدي يعني ألخبطكو بس ممكن يكون قدر ان الدكتور ده بالذات هو اللي كان موجود في اللحظة دي بالذات، جايز، بس مش أكيد أبدا، وإحساسي بيقوللي إنها في الأغلب صدفة.

كل واحد اتجوز واحدة مثلًا عارف انه قابل مراته بخطة مش هو اللي عاملها، بخطة مش بصُدفة. وحتى لو كان جواز كلاسيكي من بتاع خالته كان عندها جارة والجارة كان عندها

أخ والأخ كان عنده بنت في سن الجواز فراح يقدملها. ما اللي فات ده كله كان قرارات. الصدفة ماعندهاش القدرة على إنها تنظم حاجة بالتعقيد ده، بس ربنا عنده. وتاني ما زال من حق كل واحد فيكو يشوف الموضوع بطريقة مختلفة.

أنا شخصيا من المقتنعين إن فيما يخص الأحداث المهمة كلّها مافيش صدف، كلها قرارات. حتتجوز مين، حتشتغل إيه، حتكسب قد إيه، حتعيش فين، حتبقى مُنَعّم ولّا حتبقى شقيان.. كلّها قرارات.. حتّى اصحابك وأي حد يبقاله تأثير عليك، من غيره كان ممكن ماتبقاش نفس الشخص غالبا هو مُقَدّر.. وتاني دي مش الحقيقة ها، ده تَصَوُّر بس.

أنا مثلًا اشتغلت أربع شغلانات في حياتي في أربع مهن مختلفة وكلهم بما يبدو إنه صدف ماتنفعش تحصل في أسوأ أفلام المقاولات.

ماكنتش أعرف ان انا اقدر أشتغل مذيع مثلًا، ولا كنت عايز أصلًا. ولما اشتغلت الحمد لله بقيت كويس وشاطر وناجح. يبقى دي خطة ولّا مش خطة؟ قدر ولّا مش قدر؟ بالنسبالي أنا قدر مافيهوش شوائب.

وتخلّي بالنا تاني لو سمحتوا، أنا كان ممكن أبقى وحش فأفشل، ده ماكانش يبقى قدر، دي تبقى خيبة منّي. ممكن اتنين ناس قدرهم يتجوزوا بس الجوازة تبوظ.. موضوعهم همّ..

ممكن يبقى القدر في الجواز مرتبط بالأطفال.. وممكن لأ. كلّه ممكن.. بس المنطقي بالتالي إن القدر هو الفرصة بس، والباقي عليك انت.

الصدف مابتحكمش في حياتك لإنك مش صدفة.. إنت نفسك قدر..

بين الميلاد والموت أشياء مشتركة

الرجل العادي بينتج حوالي ٢٠٠ مليون حيوان منوي في القذفة الواحدة، وفيه رجالة ممكن يوصل عندهم هذا الرقم الى أكتر من ٤٠٠ مليون حيوان منوي.. (الفار بينتج ٥٠ مليون والخنزير بينتج ٨ مليار حيوان منوي في القذفة الواحدة!!)

حاجة طبعا تدعو للكثير من التأمل.. إحنا فاهمين إن ده بيحصل عشان المنافسة الرهيبة اللي بين الأعداد دي كلّها بتخلّي أقوى وأجود الحيوانات المنوية بس هو اللي يقدر يوصل للبويضة لتلقيحها .. لكن السؤال المهم جدا هو «هل ربّنا بيختار الحيوان المنوي اللي بيوصل للبويضة ده وبالتالي يبقى بيختار الشخص اللي حيتولد ولّا بيسيب الموضوع لقواعد الفيزيا اللي خلقها هو برضه سبحانه وتعالى، والحيوان المنوي الأقوى والأصلح هو اللي بيوصل!!

ربنا بيقول في القرآن ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾..

الآية دي بتقول إن ربنا بياخد القرار بتاع مين حيخلّف مين.. تمام، منطقي، وإحنا كمان بالطب فهمنا ده بيحصل إزاي.. بويضة المرأة بصمتها الجينية XX كلها والراجل عنده حيوانات منوية يا إمّا مشكّلة XX على XY بالتساوي، يا إمّا مش بالتساوي.. وفيه كمان راجل كل حيواناته المنوية XX أو XY بس فيبقى الراجل ده حيخلّف ولاد بس أو بنات بس. الأطفال منحة من الله أكيد وفيه ناس شُلام مايقدروش يخلّفوا أكيد، وفيه ناس بيقوا مايخلّفوش لسنين طويلة جدا ويعدين فجأة يخلّفوا من غير تدخّل أكيد.. بس كمان اللي بيزوّد الحيرة إن ربنا بيسمح للبني آدم إنه يشترك بما وصل له من العلم في عملية الخلق دي نفسها.. فيدخل البني آدم العالم يجيب بويضة الست ويلقّحها بحيوان منوي من الراجل ويقدر يختار حيطلع ولد ولا بنت بل وكمان دلوقتي يقدر يختار الولد والبنت دول حيطلعوا شعرهم أصفر ولّا إسود وعينيهم خضرا ولّا زرقا!!.. لإن البني آدم إمتلك خلاص الأدوات اللي ممكن بيها ينقّي من الحيوانات المنوية الحيوان اللي بيحمل كروموزمات معيّنة وبالتالي يقدر يعمل إختيارات من النوع ده. وبعد شوية صغيرين أكيد كمان حيبقى قادر إنه يختار درجة ذكاء الشخص ده مثلا وصفات أخرى أعقد!!!.. وربنا سايب

البني آدم يقدر يعمل كده.. هل ده دليل على إن الميلاد نفسه مش قدري ولّا ده مش دليل ولا حاجة وما الأمر إلّا أن الله قادر على إنه يسيّر كل تلك التفاصيل الصغيّرة فتبقى مقدّرة برضو بالرغم من إن حتى البني آدم ممكن يتدخّل فيها، الله أعلم.. بصراحة بصراحة يعني، فعلا مش عارف..

قدرية الموت مسألة محيّرة جدا هي كمان.. أغلبنا إذا ماكانش كلّنا مصدقين تماما إن «الأعمار بيد الله».. تمام.. وكلمة أجل الموجودة في القرآن بكثرة بتدلل على إن الموت مكتوب.. بس مكتوب دي ممكن تعني حاجتين الفرق بينهم كبير؛ هل قدرية الموت تعني إن ربنا بيختار لحظة موت كل بني آدم وكل كائن خلقه؟.. ولّا قد تكون بتعني فقط أسبقية العلم الإلهي بميعاد موت كل خلق الله!!..

وده سؤال مش مصدره راسي كده وخلاص.. لأ فيه حاجات كتير بتثير هذا التساؤل.. لمّا تبص مثلا على متوسط أعمار الناس في الدول المتقدّمة تلاقيه أعلى بكتير منّه في الدول الفقيرة.. الناس بياكلوا كويس، بيشربوا كويس، بيتلقّوا رعاية طبّية كويسة، بيعيشوا أطول!!.. بيهملوا وبياكلوا أكل ملوّث ويشربوا مية مش نظيفة ومابيتعالجوش كويس لما بيعيوا، بيعيشوا أقل.. البني آدم يلعب رياضة شرايينه توسع وقلبه يبقى أقوى وصحته تبقى أحسن ويعيش أطول، يشرب سجاير وياكل سمنة ومايلعبش رياضة شرايينه تنسد أو يجيله

سرطان رئة ويموت!! يعني ربّنا مافرضش لحظة الموت أهُه.. المسألة زي ذاكر تنجح أهي، وزي من زرع حصد وزي من جد وجد..

زائد بقى كمان أوضة العمليات وأوضة الطوارئ في المستشفى.. لو الموت كلّه مقدّر يبقى الدكاترة بيعملوا إيه هناك؟؟.. عربية إسعاف كويسة، توصل للعيان في وقت كويس، يوصل المستشفى يلاقي دكتور شاطر يفهم إيه المشكلة، يفتح ويعالج المشكلة، يعيش العيّان.. بإذن من الله طبعا مافيش إعتراض، لو مش عايزه ربّنا يعيش مش حيعيش، بس كمان هو ساب في إيد خلقه أسباب يقدّروا ينقذوا بيها العيّان أو مايقدروش .. ما ربنا سايبلنا المسألة راجعة للاستعداد والشطارة والمجهود أهُه!!.. وإلّا نشرب سجاير بقى زي ما احنا عايزين وناكل زبالة وماتتعالجش ونقول الأعمار بيد الله!!..

أعتقد أعتقد يعني.. إن موضوع الموت ده متساب لاجتهاد البني آدم في البحث عن أسباب موته، وحرصه على صحته، والطريقة اللي بيعيش بيها حياته، وطبعا أكيد كمان فيه لحظات كتير بتتدخل فيها يد الله عشان تُنهي حياة حد أو عشان تمد في أجل حد لأسباب لا ولن يعلمها إلّا هو. بس ده بيبقى فقط في القصص اللي فيها حاجات مش منطقية.. واحد إتضرب رصاصة في مخّه وماماتش، واحد كان كويس زي الفل وصحته

بُمب وطُبْ ساكت، وكل ما شابه. لكن واحد عيي بمرض ممكن يخف منّه لو خد دوا معيّن بس ماخادش الدوا المعيّن يبقى حيموت.. فين القدرية في المسألة؟؟..

وبابين طبعا إن بعد كل التفكير والإجتهاد والحيرة مازالت المسألة محيّرة جدا ومازالت علامات الإستفهام أكتر من الإجابات.. والله أعلم بالميلاد والممات.

TECNICOLOR

(ده على فكرة عنوان آه، بس عمرك ماحتعرف المقصود بيه لحد ما تخلّص قراية!!!).

تحب العناوين احنا أوي بقه.. سهلة أصلها. إسمه إيه ده وحش، واسمه إيه ده حلو. الملك فاروق كان كذا، وجمال عبد الناصر كان كذا، والسادات كان كذا ومبارك كذا وحسن نصر الله كذا، وغير كده طبعا كتير في كل حاجة في الدنيا.

العناوين سهلة عشان بتريّح. بتحسّس أصحابها انهم مش محتاجين يذاكروا المسألة يعني، هو حلو أو وحش أو زفت أو رائع.. وخلاص خلصت الحكاية. وكإن كلمة كده وخلاص ممكن فعلًا توصف حد دوره بأهمية رئيس دولة ولّا ملك، بيكتب في التاريخ وبيأثر على المستقبل وبيدّفع شعب بحاله تمن أخطاؤه أو بيِسْعَد وبيتهنّى تحت حكمه!!

طريقة التفكير دي طبعًا عندها مشاكل كتير مالهاش أول

من آخر. أهمها يمكن ان البني آدم لما يبقى متعود يعنْون الحاجات كده، بيأثر ده على طريقة تفكيره عموما؛ بيخلّيه يدوّر عالنتايج مش الأسباب، ياخد بالانطباعات مش بالحقايق، يبص عالحاجات من بره بس إلخ إلخ، ممّا ينطبع بقه على كل وجهات نظره وقدرته على حل المشاكل وقدرته على انتقاد الحاجات اللي مش عاجباه، والأخطر يمكن عدم قدرته على توقّع المستقبل والاستعداد ليه، ببساطة لإنه مابيذاكرش كويس، بيقرا العناوين بس. بيُصاب بتهيآلي بنوع من أنواع قِصَر النظر بس للأسف نوع مابيلبسلوش نضارة.

والحقيقة الحقيقة من وجهة نظر شخصية جدًّا كل حاجة محتاجة يتفكّر فيها مرتين وتلاتة وعشرة، والعناوين دي ماتنفعش بيصلة عشان العنوان بيدّي انطباع عام كده لا يُمكن ينطبق على كل كل التفاصيل. بس في المقابل، الرأي الموضوعي اللي له قيمة مابينفعش يبقى عنوان، لازم يبقى أكتر من كده بكتير.

زائد بقه إن العناوين بتبقى مضرّة جدًّا لمّا تتجاهل نسبية الأشياء. وتقريبًا كل شيء في الدنيا نسبي؛ مثلًا مثلًا، لو قتلت حد كده وخلاص تبقى قاتل، بس لو قتلت حد في الحرب تبقى بطل. طب لو الحرب دي أصلًا حرب غير شريفة؟ بلدك مثلًا بتعتدي على بلد تانية بدون وجه حق، يبقى ده اسمه إيه؟ بطولة ولا مثلًا خوف وجبن من إنك تقول لأ مش ححارب. ولا جهل

لإنك مش فاهم إن الحرب دي حرب خسيسة؟ ولّا غيره ولّا غيره ولّا غيره؟ ممكن جدًّا نعرف التسمية الصحيحة، بس لازم نذاكر، لازم نفكّر. مايِنفعش نحط عنوان وخلاص.

الموضوع ده بيفكّرني كمان جدًّا بالطريقة اللي بيتعاطى بيها الناس تعاليم الدين. عشان أعتقد انها من أهم مسببات انعدام القدرة على التحليل المنطقي والنظر للأشياء بموضوعية. الناس عايزين الحاجات يا إمّا حلال، يا إمّا حرام. وده بينطبق صحيح على حاجات كتير، بس أبدًا مش ممكن ينطبق على كل حاجة. ما الكدب حرام، بس افرض أنا بكدب عشان أنقذ واحد متلفقاله تهمة مثلًا، وانا متأكد تمامًا من إنه بريء. يبقى ده حرام ولا حلال؟ إفرض أنا ظابط بوليس وشفت بعيني واحد بيقتل، بس مافيش دليل وحيطلع منها الراجل ده مع إنه قاتل، أكدب واخترع دليل ولا أسيبه يمشي؟. مين في دول صح؟... الأمثلة مافيش أكتر منها بس انتو فهمتوا قصدي يعني.

خلاصة القول ان الدنيا مش ابيض واسود. الدنيا مليانة ألوان، وعشان تشوف الألوان لازم تبص كويس. وحتّى بعد ما تبص كويس، هم مش سبع ألوان بس وخلص الموضوع، شاشة أي كمبيوتر ممكن تطلّع تقريبا ١٧ مليون لون. ومش بس كده، ده كمان العين نفسها أصلًا أصلًا بتقدر تشوف منهم حوالي ١٠ مليون بس!!!

بس...

التأميم!!!

بالرغم من إنه مش مكانه خالص الكتاب ده كله، غالبًا الموضوع اللي فات هو اللي خلاني عايز اتكلم عن التأميم اللي جه في أعقاب يوليو ٥٢. التأميم واحد من الحاجات الكتير أوي اللي عند الناس كلهم يا ابيض يا اسود.. بس أنا أعتقد ان عندي رأي رمادي شوية في التأميم اللي حصل من أكتر من ٥٥ سنة للفلوس وممتلكات المصريين وغيرهم من الأجانب اللي كانوا عايشين في مصر.

أنا شخصيًا فكرة التأميم بالنسبالي فكرة أصلًا مش وحشة على الإطلاق، لأن الهدف منها هو تحقيق العدالة. فساد يحصل، ناس تاخد حاجات مش بتاعتها، وبعدين ييجي ناس بعدهم عايزين يصلّحوا الوضع ده، ياخدوها منهم تاني، سهلة. بس عشان تفضل كويسة لازم تبقى فكرة عادلة فعلًا. يعني، لما قامت الثورة وأممت الأطيان مثلًا اللي كانت السراية اديتها لحبايبها بدون وجه حق في الحقيقة.. يعني إيه الملك مبسوط

من واحد يروح مدّيله أرض بتاعة مصر والمصريين!! ودي طبعًا غلطة وقعت فيها كل ملكيات الدنيا زمان، ودايمًا لما كانت بتقوم ثورة أو انقلاب من أي نوع كان بيحصل سيناريو مشابه وبيرجع تاني للناس وللبلد ما هُوَّ بتاعهم أصلًا.

بس هنا فيه في رأيي غلطتين حصلوا فيما يتعلق بالتأميم الناصري. أولهم انه مافرّقش بين اللي واخد حاجة مش بتاعته واللي وارث من أجداده أرض تعبوا فيها واشتغلوا عشان تبقى بتاعتهم فاستحقّوها. وده انطبق كمان طبعًا على أي حاجة تانية سواء كانت محل أو مصنع أو غيره؛ أنا أبني مصنع واتعب فيه واحط فيه فلوس واشغّل فيه ناس وأصنّع وانتج، وييجوا ياخدوه ويقولوا حقّيه للأمّة! مال الأمّة بالموضوع؟ تاخده ليه الأمّة؟ ده بتاعي أنا وولادي من بعدي.

الغلطة بتاعة أخد العاطل في الباطل دي هي طبعًا سبب عداء كل من كانوا أغنيا، للثورة من بابها. الأمر اللي كان له آثار اجتماعية سيئة جدًّا على المجتمع المصري باينة لحد النهارده.

الغلطة التانية اللي بالنسبالي بقى لا تغتفر أبدًا أبدًا أبدًا، لإنها مش بس من أهم أسباب وصولنا للحالة اللي احنا فيها دي. دي كمان من أهم المشاكل اللي بتهدد مستقبلنا بحدة، هي توزيع الأرض على الفلاحين، فدان وخمس فدادين لكل مواطن والكلام ده. ليه؟ عشان هي نفس الغلطة اللي عملتها

المَلَكية بس كمان أوحش بكتير، على الأقل الملك لما كان يِهَب أرض لحد، كان الحد ده بيحافظ عليها لإنه كان بيكسب منها، بس الفلاحين لمّا خدوا الأرض ماعمَلوش كده بسبب الفقر والجهل وغيرهم. مبدئيا لمّا اتقسمت الأرض حتت حتت ضاع منها حوالي تلتها؛ بس عشان كل واحد عمل لنفسه طريق مثلًا في الأرض ولّا سور ولّا بنى بيت ولّا قهوة ولّا غيره وغيره. وعشان تزداد الطينة بلّة جرّفوها عشان يعملوا طوب!!. وباظت مئات آلاف الفدادين من الأرض الزراعية المصرية اللي كانت أهم مواردنا لإنها الوحيدة اللي باقية إلى الأبد. والوحيدة اللي ممكن تمكنّا من إننا نتحكم في مصيرنا بامتلاك قُوتنا. وعمّالين بقه من ساعتها نحاول نزرع الصحرا بمجهود كبير جدًّا وفلوس كتير جدًّا ومن غير ما نُحَصل على نفس النتيجة. كان يجرى إيه لو فضلت الجمهورية بتمتلك الأرض كلها وادّت للفلاح حق انتفاع بيها إنشالله ميت سنة من غير ما يقدر يقسّمها ولا يبيعها ولا يجرّفها ولا يبني عليها؟. كان زمانّا في حتة تانية خاااالص ومن غير أي مجهود.

وطبعًا مش الأراضي بس اللي لحق بيها الضرر من ورا تأميمها، بل كتير جدًّا من المؤسسات المؤممة عانت من سوء الإدارة وعدم الاهتمام عبر السنين لحد ما تحوّلت إلى عبء على كاهل الدولة، والمُحَصلة النهائية إن ضرر تأميمها كان

أكبر من نفعُه. ولو إن الأرض طبعًا هي أكبر الخسائر لإنها ماتتعوضش.

وأخيرًا، عشان مايبقاش فيه حاجة في نِفسي.. أنا شخصيًا لو كان الأمر بيدي. كل واحد سرق شبر واحد من أرض مصر أو جنيه يتيم من البلد دي حأمّمه منه تاني، بس مش حاوزّعُه على الناس زي ما حصل زمان، حَسِيبه بتاع الوطن يستفيد منه اللي عايشين دلوقتي ويستفيد منه ولادهم وأحفادهم إلى الأبد.. أمّا الحاجات اللي باظت بقه وخربت فموضوعها أكبر وأعقد وأصعب، فَكويّس إن الأمر مش بيدِي!!

الأطفال

من مشاهداتي الشخصية لبنتي الحبيبة قرة عَيْني الآنسة «عاليا أحمد العسيلي» اتعلمت شوية حاجات عن فطرة البني آدم أحب أشاركو فيها.

أولا: حب الأول وبعدين نتكلّم، روح الطفل عارفة ان أهم حاجة محتاجها هي إنه يِتحَب. وعقله الصغيّر بيعمل أحسن ما عنده عشان يحصُل على الحب.

ثانيًا: الشقاوة هي أهم نشاط بيعمله الطفل، إلى كل الآباء والأمهات اللي في الدنيا: إوعوا تخنقوا الشقاوة، حُطّولها حدود طبعا بس اوعوا تموّتوها. بالشقاوة بيكتشف الطفل العالم وبيعرف حدوده وبيكوّن وجهة نظره الصغيّرة عن الأشياء. بيستكشف وبيكتشف، شقاوة الطفل هي عينيه، لو اتغطّت مش حَيشوف.

ثالثًا: بقية الحاجات اللي مُزوّد بيها الطفل بالفطرة هي

كلها حاجات بايخة. عيوب البني آدم الأساسية. طمّاع وأناني وقصير النظر. عشان برضُه ربنا ساب الأطفال لأهاليهم ومجتمعاتهم تربّيهم. وتربّيهم في الحقيقة يعني تسيطر على العيوب دي عشان تخلق بالرغم منها بني آدمين أسوياء. بني آدمين فطرتهم طمّاعة وأنانية وقصيرة النظر آه، بس يقدروا بالتدريب منذ نعومة أظافرهم أن يتحكموا في تلك العيوب. ويتعلّموا إنكار الذات ويتعلّموا التضحية ويتعلّموا الجدعنة ويتعلّموا التخطيط وتوقع المستقبل.

رابعًا: البني آدم أصلًا أصلًا عايز يبقى حر، عايز يملك القدرة على الاختيار، عايز هو اللي ينقّي. وبناء عليه يبقى يمكن واحد من أسباب اللي احنا فيه ده طريقة الجَبر اللي بيمارسها البيت المصري على أبناؤه من وهمّ صغيرين ولحد حتّى ما يكبروا. الطريقة اللي بتسلبهم ما أعطاه ربهم إليهم في فطرتهم، ومع الخسارة دي بيخسروا القدرة على دفع تمن أخطاءهم وتحمّل مسئولية أفعالهم.

خامسًا: مافيش حاجة في الدنيا ممكن تُسعد البني آدم قد انه يفخر بنفسه، يعمل حاجة كويسة، الناس اللي بيحبوه يشجّعوه عليها، يبقى أسعد حاجة ممكنة.

سادسًا: أنا حاسس اني بَتعلّم من بنتي الصغيّرة المفعوصة دي أكتر ما بَعلّمها.

المدرسة

مبدئيًا كده، أنا معتقد ان المدرسة دي هي من أسوأ ما توصل ليه البني آدم من أنظمة في العصور الحديثة.

عشان أشرح وجهة نظري، تعالوا الأول نبص على تاريخ التعليم في الدنيا. البشرية قعدت آلاف السنين بتتعلم بالطريقة الآتية: واحد مهتم بحاجة، يقعد يدوّر عليها ويذاكرها لحد ما يبقى شاطر ويتوصّل فيها لحاجات ماحدّش كان يعرفها. ييجي واحد تاني بعدُه مهتم بنفس الموضوع، يدور على حد يتعلم منه ويقعد يذاكر هو كمان، ولو طلع نابِه (يعني زي نبيه كده)، يكتشف حاجة جديدة يعلّمها للناس، وييجوا المهتمّين بالمسألة يتعلموها منه وهكذا.

النظام ده كان عبقري لعدة أسباب، أولًا ان ماكانش فيه جَبر في المسألة على الإطلاق، إنت عايز تتعلم حاجة، بتروح تتعلمها. فَبتِبقى أكيد بتحبها، وبتبقى عندك حرية وانت

بتعلّمها. فتعرف تُبدع وتُعَبْقِر فيها (معلش أنا فيه كلمات كده بعملها أنا).

ومما يدل كمان على إن النظام ده كان عبقري، إنك تبص على علماء الدنيا زمان، ماتلاقيش حد كان متخصص في حاجة واحدة كده طول حياته.

تعالوا نعدّي بسرعة كده على بعض علماء المسلمين مثلًا.. فخر الدين الرازي: كان منظّر (واضع نظريات يعني) وفيلسوف، وكَتَب في الطب والفيزيا والفلك والأدب والتاريخ والقانون. مش ذاكر فيهم بس، لأ كَتَب كُتُب.

ابن رشد، كان فيلسوف ودرّس الكَلِم (اللي هو علم اللغويات)، والفقه والشعر والطب. ومش كان دكتور يعني أي كلام، ده كان طبيب الخليفة. وبعدين كان قاضي!! وشرح أرسطو!!!.. ازاي كده؟ لإنه كان نابه طبعا، وكمان لإنه كان حرّ في التعلّم.

ابن النفيس كان طبيب وأول من اكتشف الدورة الدموية نفسها، وكان فيلسوف!

الرازي كان طبيب وكيميائي وفلكي، وعالم تشريح ونُسِبْ إليه إنه اخترع الفتيل الجراحي. وكان يوصف بإنه موسوعة في جميع فروع المعرفة.

ومفهوم ان الناس دول وغيرهم عشرات طبعًا ماكانوش

يعرفوا قد اللي يعرفوه علماء النهارده، بس انا قصدي ان ده أكيد دليل على نجاح أنظمة التعليم دي. إنها كانت بتدّي مساحة لحد انه يبقى عالم وأستاذ ومؤلف كتب في أربع وخَمَسْ علوم معقدة ومعاهم كمان فقه وشريعة!

لحد بقى ما جت فكرة المدرسة دي. «يالّا نجيب العيال كلهم نحطهم جنب بعض، وندلق في راسهم الحاجات كلها» وهي فكرة مش مجنونة يعني، بس اتعملت غلط. عشان النظام الجديد بتاع الفصل اللي بيتبدّل عليه المدرسين ده، قعّد الذكي جنب الأقل ذكاء، والفنان جنب العملي والموهوب في الكتابة جنب الموهوب في التحليل المنطقي جنب الموهوب في الرسم جنب الموهوب في الكيميا جنب اللي مش عارفين هو موهوب في إيه، كلّه كلّه جنب بعضه وبختك ياأبو بخيت. (وبخيت يطلع مين، اللي يعرف ينجح في الامتحانات ويعدّي كل السنين ويبقى من الشاطرين!!.)

والكلام ده مش بتاعي لوحدي على فكرة، مُصْلِحي التعليم في العالم المتقدم وَعْوا بقالهم شوية للمسألة دي وبيحاولوا دلوقتي يخلقوا أنظمة تعليم مختلفة بتدخل تدوّر على الطفل ده كويس في إيه وتعلّمهوله بتركيز أكتر من بقية الحاجات اللي بياخد عنها فكرة عامة بس على سبيل العلم بالأشياء. بس طبعًا بسبب مليارات التلاميذ والطلبة في الدنيا مافيش

حاجة حتتغير تغيّر جذري في أنظمة التعليم في العالم كلّه غير بعد وقت كتير.

ولحَدّ ما ده يحصل لإنه غالبا مش حَيحصل في حياتنا، لازم حاجتين أعتقد. أولًا: إن البيت يتعامل مع المدرسة على إنها مش هي اللي حتكتشف موهبة ولاده، عشان هي فعلًا مش حتعمل كده. فلازم البيت هو اللي يعمل هذا الدور اللي من غيره حَيفضل يقل عدد المبدعين والنابهين والمتفوقين في كل مجالات العلم والفن والمعرفة.

وثانيا: اللي مابقَاش بقه عيّل صغيّر خلاص، يفتكر الكلام ده لمّا يخلّف عيال، وكمان يفضل يدوّر في نفسه على هو شاطر في إيه وبيحب إيه والمفروض يبقى بيعمل إيه عشان يعرف يستفيد من إمكانياته وينجح ويُبدع ويتفوق ويَسعَد.

التعليم الكلّي اللي في المدرسة والجامعة ده بقى الهدف الوحيد منه ان الواحد يتفوق على أقرانه ويكسب في السباق ايّاه بتاع الشغلانات الكويسة والفلوس الكتير؛ ومن ثَمّ العربيات والفيلات والسقا مات مات مات. مع إن التعليم أصلًا بتاع «العلم نور» نور لو مانوّرش العقل والضمير والروح يبقى زيّ قلّته، أو حتّى يمكن قلّته أحسن.

عندك كام سنة؟

عادل أدهم في سوبر ماركت قال لممدوح عبد العليم «العُمر يا رمزي تلاتة: العمر اللي مكتوب عالورق.. والعمر اللي الناس بتشوفه.. والعمر اللي انت بتحس بيه يا رمزي، اللي انت بتحس بيه».

أنا عايز أكلمكوا بقه عن نوع رابع من أنواع العمر، أو هو في الحقيقة، ممكن يكون النتيجة بتاعة حساب التلاتة دول مع بعض. مش جمعهم، حسابهم.

العمر بتاع روحك بقه.. العمر بتاع روحك يبدو سهل الحساب، عدّيت بإيه في حياتك؟ خسرت إيه؟ كسبت إيه؟ قابلت مين؟ حبيت مين؟ ضَحّيت بإيه؟ تعبت من إيه؟ اتوجعت من إيه؟ شفت إيه؟ كل ده وغيره طبعًا هو اللي بيدلل على عمر روحك. إنت ممكن تكبر تبقى عندك ٦٠ سنة بس روحك ماكبرتش عشان ماعدّتش على حاجات تتفاعل معاها

فتكبر. وممكن العكس، ماتبقاش كبرت انت كفاية بس روحك تشوف كتير فتكبر؟

أنا شاب، لكن عمري ولا ألف عام
وحيد، ولكن بين ضلوعي زحام
خايف، ولكن خوفي مني أنا
أخرس، ولكن قلبي مليان كلام

صلاح جاهين

طبعا مش لازم ان الروح تكبر بالألم والظروف الوحشة. ممكن تكبر بإنها تعرف أكتر، ممكن تكبر بإنها تحس أكتر، تحب أكتر، تعيش أكتر.

بيت القصيد، أعتقد أعتقد يعني ان الدليل على إن روحك بتكبر فعلا هو إن مفاهيمك تتغير. مش مبادئك، مفاهيمك. الشخص اللي روحه بتكبر ده بيتعلم، ومادام بيتعلم لازم لازم لازم مايفضلش يشوف الحاجات من نفس وجهة النظر. لإنك مستحيل تبقى فاهم كل حاجة من الأول كده، (ممكن تبقى فاكر نفسك فاهم، أغلب الناس للأسف فاكرين نفسهم فاهمين كل حاجة) لازم يبقى فيه حاجات انت مش فاهمها ولازم تعرف همّ إيه ولازم تتلخبط ولازم تحتار..

فانا شخصيا بقيت حاسس إن لو مفاهيمك مابتتغيّرش يبقى مافيش حاجة مهمة بتحصلّك وتبقى أكيد مش ماشي لقدّام.. ومش تتغير مرّة واحدة، لأ مرّة واتنين وعشرة وألف، وطول ما

انت عايش تفضل تفكّر، وكل ما روحك تكبر تشوف أحسن وتكوّن وجهة نظر جديدة، وبعدين تشوف حاجة مختلفة بعد شوية وهكذا.. مش مهم أبدًا توصل لأي حاجة صح، طظ في الصح. المهم انك توصل لحاجات، وتبقى بتاعتك، والأهم ان الدايرة دي مابتكمّلش أبدًا. وعُمر الأقلام ما تُرفَع، وعُمر الصُحُف ما تجف..

زمن الفن الجميل وحاجات تانية!

اللي شفته..
نيرانا!..
قبل ما تشووووووووفاااك عينايااا
تااا
عمر ضاااااايــــعع
يحســبووووووووه إزااي.. عليييا
تـــيي

يا عيني عليكي يا جامدة.

كل يوم تقريبًا فيه حد من السادة الفنّانين أو غير الفنّانين من الجمهور أو المذيعين، بيبقى طالع في التليفزيون ويتكلم عن أو على الأقل يَذْكُر الشيء المسمى بالفن الجميل بتاع زمان..

يعني إيه فن جميل يعني.. ما تخلّيكوا محددين كده.. هو يعني الفن بتاع دلوقتي وِحِش؟.. يعني إيه وِحِش؟.. يعني

مش عاجبكو؟.. أيوه سوق الأغنية مليان حاجات زبالة، بس ده منطقي لإن في زمن الفن الجميل ده، كان فيه ١٠ مطربين فماكانش ينفع يبقى فيهم حد مايعرفش يغنّي، ولا ينفع يبقى فيه أغاني وحشة، إنما دلوقتي فيه ألوف، وفي أي بلد في العالم أكيد فيه أغاني أي كلام. بس ده مش لإن الزمن كان جميل وبقى وحش، ده لإن ظَرفُ الأغنية بقى مختلف، اتغيّر. بقت الدنيا بتسمح، بل محتاجة، لمئات المغنيين عشان يملوا محطات الأغاني ويغنّوا في الحفلات والأفراح وغيره. بس ماحدّش أبدا يقدر ينكر ان دايمًا من ساعة ما زمن الفن الجميل ده خلص، كان فيه مطربين محترمين وملحنين شاطرين وموزعين هايْلين وكانوا وما زالوا دايما بينتجوا عشرات الأغاني المحترمة اللي فيها كلام حلو ومزيكا حلوة. كلّها مختلفة عن المزيكا بتاعة زمان آه، بس حلوة ومعمولة بإتقان وبحُب وكل الحاجات، ولكنّها مختلفة.

فلو المطربين مفتقدين الفن بتاع زمن الفن الجميل، ما تعملوا فن جميل انتوا كمان، هو فيه حد حايشكو!. ولو الجمهور هو اللي مُفتقد أغاني زمن الفن الجميل، ما تروحوا تسمعوها، ماهي موجودة! هو فيه حد خبّى المزيكا بتاعة زمان!

مش عيب خالص اننا نحترم تراثنا الغنائي ونقدّسه حتّى لو عايزين، بس ده مش معناه اننا نفضل نكسّر في حاضرنا! ولا

معناه اننا نفضل نعيد في الكلام زي البغبغانات من غير ما يبقى عندنا أي فكرة احنا عايزين إيه بالظبط من ورا كلامنا.

كفاية بكاء على اللبن المسكوب أرجوكو، مش فيما يتعلّق بـ«زمن الفن الجميل» بس، كمان فيما يتعلّق بالسينما وبالمسرح وبالتليفزيون وبكل حاجة في الدنيا. اللي راح راح وجه مكانه حاجة تانية، نحبّها، ولو محتاجة تغيير نغيّرها، تصليح نصلّحها. بس ده بيحصل بإننا نذاكرها كويس ونفهم إيه مشاكلها ونتعلّم ازاي نخلّيها أحسن، مش أبدًا بالندب والوَلْوَلة والنحيب.

الموضوع ده خلّاني أفكّر في حاجات تانية كمان فحَرْغي كمان شوية..

الأجيال السابقة من المصريين لا ينفكّوا أبدًا أن يذكروا قد إيه الأخلاق زمان كانت عظيمة ودلوقتي مابقاش فيه أخلاق!.. مين بقه اللي عمل الحكاية دي؟ مين مسئول عنها؟ الشباب اللي بلا أخلاق ولّا أهاليهم اللي ربّوهم بطريقة غلط؟.. يرد البعض يقولوا «الأهل مش حيعملوا حاجة لوحدهم، فيه كمان المدرسة والجامعة بتأثر على ولادنا». هو يعني المدرسة دي فيها كائنات فضائية! المدرسة فيها نوعين من الناس، يا تلاميذ يا مدرسين، كويس؟ المدرّسين دول دايمًا بينتموا للجيل سابق للتلامذة، صح؟ فلو التلاميذ باظوا بسبب المدرّسين يبقى برضه الجيل السابق ده هو المسئول عن البوظان. بقية الناس

اللي في المدرسة كلّهم، اللي همّ التلامذة، مش طالعين شيطاني، صح؟ كل واحد فيهم جاي من بيت. البيت ده فيه مين؟ فيه أهله. أهله دول مِنين؟ من الأجيال السابقة برضُه. فلو العيال دول بايظين يبقى مين اللي بوّظهم؟ الأجيال السابقة هي اللي بوّظتهم أو على الأقل سمحتلهم يبوظوا لإن همّ اللي خلقوا البيئة اللي اتربّوا فيها!

«أصل التليفزيون مليان مش عارف إيه» حاضر.. هو التلفزيون ده فيه مين؟ صهاينة!! أجيال سابقة بتَرعى أجيال حالية. زي المدرسة والجامعة بالظبط.

«أصلهم بيتفرّجوا على الفضائيات وبيدخلوا على الإنترنت» حاضر. هو الفضائيات والإنترنت دول مافيهُمش علم وفن ومعرفة؟ فيهم. مين اللي ماعلّمش الأجيال الحالية تعوز تعرف وتتعلّم وتتنوّر؟ مين طلّع أغلبهم بيحب الهيافة؟ مين اللي قفّل دماغهم وخلّاهم مابيقدروش يفكّروا لوحدهم وبيخافوا من كل حاجة مايعرفوهاش؟ الأجيال السابقة برضه.

أمّال انتو فاكرين يعني إيه «تربية الأولاد مسئولية»؟ يعني كده. يعني كل جيل بيتحمّل مسئولية ما يئول إليه الجيل اللي بعدُه. وكلامي ده كلّه مش معناه إن مافيش حد من الصغيّرين يُلام على أخطاؤه. لأ طبعًا يُلام ويُلام ويُلام، وبعدين ده مش يُلام عشان نفسُه بس، ماهوّ اللي كده كده مطلوب منّه يصلّح العكّ اللي حصل قبله، وكمان حيأثّر في اللي بعده، حيأثّر في

المستقبل. بس قبل ما يُلام هو، يُلام المسئولين عنّا أل إيه عسى انهم يتحمّلوا المسئولية فيطلّوا يرغوا ويعملوا حاجة تحفظ ماء وجوههم.

خلاصة القول.. مافيش حاجة بتحصل لوحدها كده.. دايمًا فيه حدّ مسئول، وتحمّل المسئولية فضيلة زي الاعتراف بالخطأ بالظبط.

أرجوكو يا سادة يا كبار بطّلوا تُلقوا بالتّهم على المجهول وعلى الضحايا وفكّروا تعملوا إيه عشان تساعدوا في إصلاح ما أفسدتموه، مش ما أفسده الدهر ولا ما أفسد نفسه بنفسُه. الأطفال والشباب زي الزرع، حد بيزرعهم ويكبّرهم ويخلّي باله منهم ويبقى مسئول عن جودة ما يُنتِجُه من محصول، إن خيرًا فخَير، وإن شرًّا فشَرّ. ماترُوحش بقى للقطن اللي احنا زارعينه وتقولّه انت وحش يا قطن وانت كُخّة يا قطن، وانت ماتجيش حاجة في القطن بتاع زمان يا قطن!!!

يا حلاوة الدنيا يا حلاوة.. ترلم ترلم..

صحيح الدنيا بتبقى في أحيان كتير سخيفة ومأساوية ومليئة بالجهل والتعصب والظلم والغباء.. صحيح أغلب البني آدم أناني وطماع وضيق الأفق وقصير النظر وبايخ.. صحيح العالم مليء بالمآسي من كل الأنواع. لكن كمان صحيح ان الحياة فعلا جميلة. الحياة جميلة بكل ما فيها من براءة طفولة وناس شرفاء ورجالة جدعان وأقويا، وستات وبنات جُمال وحنينين.. جميلة الحياة بالناس الطيبين. جميلة الحياة بالأصدقاء المخلصين. جميلة الحياة بكل أم وكل أب بيحبوا ولادهم إلى درجة الجنون. جميلة الحياة بالطبيعة الجميلة والبحر والسما والزرع والنجوم. جميلة بمسكة إيدين الحبيبة ودلع الجدة وحنان الأم. جميلة الحياة بالضحك والأحضان ودموع الفَرَح... جميلة الحياة....

جميلة الحياة بالقُدرة على التعلُّم والقدرة على التسامح والقدرة عالغفران. جميلة الحياة بالفن والرسم والمزيكا

والشعر والحواديت.. جميلة الحياة بالإخلاص والوفاء والتضحية والإيمان والحب.. جميلة جميلة الحياة..

جميلة الحياة بإنّها مابتفضلش أبدًا على حالها، جميلة بتغيُّر الفصول والطلوع والنزول، جميلة الحياة بتغيُّرها. جميلة بكل ما فيها من حيرة وتساؤل وفضول، جميلة الحياة بالذكريات وبكل ما فيها من جُنون..

محلا الحياة حتى في أواخرها
محلا الحياة حتى ولو فاتيت..

صلاح جاهين

النهايـــة

أولا: شكرًا ليكو قريتو، عشان الكلام اللي ماحدّش قراه كإنّ ماحدّش كتبُه.

ثانيًا: ماكانش المطلوب أبدًا إن أيّ حدّ يتفق مع كل ما جاء في هذا الكتاب، ولا حتّى جزء منه. الاتفاق مش هو الموضوع، إنشالله يا رب مايبقاش متّفق مع ولا كلمة اتقالت. الموضوع هو ان يا ريت مايبقاش ده آخر المشوار للأفكار دي، نفسي يبقى أوّله. نفسي كل واحد فيكو يفكر في كل حاجة قراها تاني ويتكلّم فيها مع اصحابه ويسمعهم ويقولّهم ويناقشهم، عشان تكمل الصورة وتتلوّن.

ثالثًا: يا رب يا رب يا عزيز يا مقتدر إجعل هذا الكتاب يولّد ولو فكرة واحدة جديدة في رأس كل من يقرؤه.

رابعًا: حتلاقوا group على الـ facebook بنفس إسم الكتاب «كتاب مالوش إسم»!..

هو كان مالوش إسم قبل ما تقروه.. دلوقتي ممكن تسمّوه زي ما انتو عايزين.

سلامات.

التتر

الكتاب ده بيدين بالفضل لكل الناس اللي قابلتهم في حياتي وسابوا أثر لكل فيلم استمتعت بيه وكل كلمة في كتاب أثرت فيّا.

الكتاب ده بيدين بالفضل لهذه الحقبة السخيفة اللامعة المضيئة الملوّنة من تاريخ كوكب الأرض.

الكتاب ده بيدين بالفضل لصلاح جاهين، صديقي اللي عمري ما قابلته.

الكتاب ده بيدين بالفضل لأحلى كلمة في الدنيا «الحرية».

الكتاب ده بيدين بالفضل لكل اصحابي، كل اللي شاركني أي حاجة في الدنيا.

الكتاب ده بيّدين بالفضل للمساكين اللي علّبتهم معايا

وأنا كلّ شوية ابعتلهم حاجة يقروها عشان شاكك فيها.. (قاهرو الشك).

الكتاب ده بيدين بالفضل لكل الستات والبنات اللي في الدنيا، لإن وجودهم أصلًا بيلهمني.

الكتاب ده بيدين بالفضل لبنتي اللي عرّفتني على نوع جديد من الحب ماكنتش اعرف قبلها انه موجود أصلًا.

ومراتي.. الحضن الجميل اللي ربنا بعتهالي عشان ماتشيّلنيش الهم أبدًا، مع إنها بتشيل همّي على طول.

الكتاب ده بيدين بالفضل لأمي وابويا، اللي بيدعولي فربنا بيسمع.

الكتاب ده بيدين بالفضل لكل من ربّت على كتفي.. لكل حدّ قالّي كلمة حلوة.. لكل حد حبّني.. ولكل حد آمن بيّا وصدقني.

الكتاب ده بيدين بالفضل للشمس، سر الحياة، الشمس اللي بَفتقدها في اليوم اللي ماتطلعش فيه لدرجة بتشككني إني أصلًا نبات!

الكتاب ده بيدين بالفضل لكل هذا الجمال وكل هذا القبح.

وأخيرًا وليس آخرًا، يدِين هذا الكتاب بالفضل لخالقي وصانعي ومعلّمي ومربّيّ، لصاحب الفضل الأول والأخير، اللهُ ربّ العالمين.

عن المؤلف

ما صدرش للمؤلف أي كتب قبل كده.. بسّ الآتية هي أعماله السابقة..

- «FMTV»

برنامج تلفزيوني إذاعي على قناة مزيكا/ ونجوم FM

الموسم الأول: (٢٠٠٤-٢٠٠٥).

الموسم الثاني: (٢٠٠٥-٢٠٠٦).

- «الخميس الساعة تمانية»

برنامج هوا إذاعي على نجوم FM - (٢٠٠٦).

- «حبة عسيلي»

برنامج تلفزيوني على Otv

الموسم الأول: (٢٠٠٧-٢٠٠٨).

الموسم التاني: (٢٠٠٨).

ـ «عسيلي على الراديو»

نجوم FM (٢٠٠٨).

ـ «عسيلي على الراديو في رمضان».

نجوم FM

الموسم الأول: (رمضان ٢٠٠٧).

الموسم التاني: (رمضان ٢٠٠٨).

ـ مقالة شهرية في مجلة «إحنا» منذ ٢٠٠٦.

الفهـرس

كتاب مالوش اسم

وانا صغير كان فيه حلم يقظة بيجيلي كتير جدًا: قال خير اللهم اجعله خير، طالع انا في التليفزيون بقول نظريات وأفكار ورأيي في كل حاجة في الدنيا، والمذيعة الحلوة منبهرة جدًا بكل كلمة بقولها. وقاعد انا بقه متجعض بثقة في الكرسي بتاعي ومكتوب تحت صورتي بالبنط العريض «المفكر الكبير أحمد العسيلي». حلم غريب جدًا طبعًا. هي دي شغلانة يحلم بيها طفل دي؟ المفكر الكبير؟!

بس الحمد لله.. جزء من النبوءة تحقق.. بطلع في التليفزيون وفي الراديو وبكتب مقالات وكمان بكتب كتاب اهه.. بس الأهم، لإنه السبب في كل ده.. إني على طول بفكر.. بفكر.. بفكر..

أحمد العسيلي



6 221102 025232

دار الشروق
www.shorouk.com


أروع
الكتب